www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مجلة المنار

المجلد الثالث والعشرون

الجزء الرابع

إهداء من

تابعوا ...

طبعة دار الوفاء
للطباعة والنشر

WWW.ALUKAH.NET

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المنار

١٣١٥

فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

— قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى « ومنارا » كمنار الطريق —

٢٩ شعبان ١٣٤٠ـ٦ الثور (ر٢) سنة ١٣٠٠هـ ش ٢٧ أبريل سنة ١٩٢٢

فتاوى المنار

(س ١٢—١٧) أسئلة من الاستاذ صاحب الامضاء في سمادون (المنوفية)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله ومن تبعه باحسان الى يوم الدين : من طالب الارشاد صاحب الامضاء الى حضرة صاحب الفضيلة السيد محمد رشيد رضا محرر المنار، سلام عليكم (أما بعد) فأرجو الافادة التامة الموضحة بالادلة القطعية على الاسئلة الآتية لازلتم محط رحال السائلين وناطقا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بالصواب ومعليا شأن الاسلام والمسلمين : ونص الاسئلة هو

(١) ما سبب التعارض الواقع في كتب المذاهب الاربعة عند الكلام على تعدد الجمعة من حيث جوازه ومنعه؟ فمثلا روي في كتب الشافعية ان مذهب الامام الذي نصّ عليه هو منع التعدد مطلقا ، وقول بجوازه بشرط الحاجة ، وقول بالجواز مطلقا . ولم أر الاخير الا في كتاب صغير اسمه مرقاة الصعود للشيخ (نووي) مع خلوّ الكتب الواسعة منه . وهي أقوال ظاهرة التناقض . وقد ورد في كتب المالكية ان للامام مالك قولا واحداً وهو المنع ، ثم اذا قرأت في كتبهم تجد ما يقتضي قولهم بجواز التعدد بشرط الحاجة ، ثم بالجواز المطلق . ومثل ذلك في كتب الحنبلية . وفي كتب الحنفية ان للامام ثلاثة أقوال ويذكرون القول بالمنع وروايتين في الجواز انما يفيدان الجواز بشرط الحاجة ، ثم يذكرون القول بالجواز المطلق، وأن عليه الامام السرخسي الحنفي وأتباعه .... هل ذلك التضارب وقع من نفس أئمة المذاهب؟ وعليه فما تأويله ؟ أو وقع من المقلدين وعليه فما سببه؟ وفي أي عصر وقع . وما عين الصواب في المسألة وما وجهه وما دليله ؟

(٢) هل صلاة الظهر بعد الجمعة واجبة أو سنة أو بدعة ؟ واذا قائم بالثاني أو بالاول فما دليله الصريح من الكتاب أو السنة ، وهل يقبل في العبادات ما يحتمل أن يكون دليلا، وهل عمل السلف الصالح — أهل القرون الثلاثة الاولى المشهود لهم بالخيرية ، والمأمورون نحن باتباع سنة الرسول وسنتهم — بهذه الصلاة أو ثبت أن أحداً منهم أو من الائمة المجتهدين كان يصليها بعد صلاته الجمعة وهل صلاها الامام الشافعي ولو مرة ؟ واذا قائم بالثالث فمن اخترعها ولاي سبب وفي أي عصر وهل يعمل بقوله ويحمل الناس خصوصا العوام على فعلها واعتقاد وجوبها أو سنيتها وهل اذا رد حنفي على شافعي بأن هذه الصلاة بدعة اخترعها بعض المتأخرين عند ما اعتورهم الشك في صحة الجمعة وأن في فعلها والقول بها افساداً لعقيدة العوام اذ هم يعتقدون فرضيتها وتعدد الفرض في اليوم ؟ وهل يصح من الشافعي أن يقول ان مذهبنا غير مذهبكم ولا يُردّ بمذهب على مذهب ، وهل لقوله هذا دليل من القواعد الاصولية المتفق عليها أو من الكتاب أو السنة ؟

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(٣و٤) هل المصلحة اليوم في العمل باعتبار الطلاق الثلاث بلفظ واحد واحداً كما هو طريقة رسول الله وأبي بكر وعمر في أول خلافته أو العمل باعتباره ثلاثا كما أمضاه عمر — للتخلص من المحلل والحيل التي يعملها فقهاء البلاد من اعتبار العقد الأول باطلا بالنسبة لمذهب الشافعي وتجديد العقد عليه أو من اعتبار مجرد العقد على غير الزوج كافيا في التحليل بدون ذوق عسيلته أو من اعتبار مجرد الخلوة بزوج صغير لم يبلغ الحلم وبيات المرأة عنده ليلة أو أكثر تحليلا . وما قيمة تلك الحيل من الصحة والفساد . وما جزاء فاعلها شرعا وقانونا ؟

(٥و٦) هل شرع الطلاق لغير حل عقدة النكاح عند اليأس من التوفيق بين الزوجين بعد التحكيم حتى أصبح الرجل في حل من أن يطلق امرأته بأقل سبب وبدونه من غير تحكيم ؟ وهل ينعقد اليمين بغير الله تعالى أو اسم من أسمائه أو صفة من صفات ذاته؟ حتى أصبح الطلاق، وأيمان المسلمين ، ورسول الله ، والنبي، وديني وذمتي وغير ذلك أيمانا مغلظة يحنث الحالف بها اذا لم يبر بالمحلوف عليه وهل كان ذلك معروفا عند أهل القرون الثلاثة الاولى . وما معنى حديث (من حلف بغير الله فقد عظمه ومن عظم غير الله فقد كفر) وما مقتضاه

(٧) ما معنى «لا فضل لعربي على عجمي ولا لاحمر على أسود الا بالتقوى» و « المسلمون متكافئون في الحقوق » وغير ذلك من أحاديث الرسول مع اعتبار الفقهاء الكفاءة في النكاح في الحسب والنسب والحرفة والثروة أمراً ضروريا بطلبه الدين مع ظهور التضاد اذ أحد الطرفين يقول بالمساواة وعدم الامتياز الا بالتقوى والطرف الآخر يقول بالتفريق بين بعض الناس وبعض في غير التقوى

(٨) وما هو المقياس الذي قيست به الحرف حتى حكم على بعضها بالخسة وبعضها بالشرف مع كونها لابد منها جميعا بل ربما كانت الحرفة التي نقول بخستها ألزم من حرفة نقول بشرفها . وما سبب الحديث القائل « كسب الحجام خبيث » مع كونه ينفر الناس من تعاطي صناعة الحجامة، وهذا ربما يستلزم ابطالها مع شدة الحاجة اليها ، مع أن في حديث آخر ما يقتضي تعاطيها وهو « لو كان في شيء مما يتداوى به الناس خير لكان في شرطة محجم » الخ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(٩و١٠) هل في قوله تعالى (واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أوردوها) نص صريح على حل أنواع التحية من نهارك سعيد وليلتك سعيدة وغير ذلك أو هناك حديث صحيح بين المراد من الآية ويمنع غير (السلام عليكم) وعليه فما هو . وهل يرد السلام على من ابتدأ به من غير المسلمين — والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

طالب الارشاد

محمد مقبول حلاوه

﴿ الجواب عن المسألتين المتعلقتين بتعدد الجمعة وصلاة الظهر معها ﴾

الخلاف بين المذاهب في هذه المسألة كغيره من الخلاف والتعارض في المسائل الاجتهادية، وأسبابه معروفة وقد ألف بعضهم فيها رسائل خاصة ، ولا نرى من حاجة الى ذكر جميع مسائل الخلاف في الجمعة ودلائل المختلفين أو تعليلاتهم وشبهاتهم وأشخاصهم لانها اضاعة للوقت فيما لا يتعلق به عمل ، وليس فيها أدلة قطعية اذ لا خلاف في القطعي وانما بنى الخلاف على أمر متفق عليه وهو أن عدم التعدد مطلوب شرعا اذا تيسر وانما المفيد هو الجواب عن المسألة الثانية وهي: هل صلاة الظهر بعد الجمعة واجبة أم سنة أم بدعة. والجواب عنها انها بدعة لانها مما حدث بعد الصدر الاول ، ولم يرد بها نص من كتاب ولا سنة ولا اجماع من الصحابة وهو الاجماع الذي يعتد به في المسائل الدينية دون سواه ، ولا هي مما يثبت بالقياس لانها من المسائل التعبدية الموقوفة على النص اذ لو جاز ان تثبت العبادات بظنون المجتهدين وأقيستهم لما صح ان يكون قد أكمل الله الدين على لسان رسوله ، ولكن اكمال الدين ثابت في محكم القرآن وبالاجماع — ولجاز أن تتجدد في الدين عبادات كثيرة يكون المتعبدون بها أكمل دينا من الرسول وأصحابه وذلك مما يعلم بطلانه بضرورة الدين ، ولكن القائل بوجوب صلاة الظهر أو سنيتها بالشرط الذي أداه اليه اجتهاده معذور في اجتهاده اذا لم يدع أحدا الى تقليده فيه ، ومثل هذا التقليد لم يدع اليه ولم يقل به أحد من الائمة المجتهدين ولم ينقل الينا ان أحداً من الصحابة أو علماء السلف المجتهدين صلى الظهر بعد الجمعة وقد جاء الشافعي بغداد وفيها عدة مساجد ولم ينقل انه كان يصلي الظهر بعد الجمعة ولو فعل لم يكن فعله شرعا يتبع

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقد فصلنا القول في المسألة في المجلدين السابع والثامن فليراجعها الاستاذ السائل وان وجد بعد مراجعتها حاجة الى سؤال آخر مفيد في المسألة فله ذلك

﴿ الجواب عن مسألة الطلاق الثلاث باللفظ الواحد ﴾

لا يمتري أحد من المختبرين لحالة المسلمين في هذا العصر ولا سيما في مثل هذه البلاد في ان مفاسد امضاء وقوع الطلاق الثلاث باللفظ الواحد قد كثرت وان عدم امضائه والعمل فيه بما كان على عهد النبي (ص) ومدة خلافة أبي بكر وأول خلافة عمر هو أصلح مما جروا عليه في آخر خلافة عمر، وان ما كان يقصد اليه عمر من منع الناس به من طلاق البدعة ومخالفة السنة إن كان قد أفاد في عصره فامتنع الناس كلهم أوجلهم من ذلك الطلاق ـ فالامر في هذا الزمان على خلاف ذلك، اذ عمّت البدع، وجهلت السنن، وكثر خراب البيوت وفسادها بكثرة الطلاق، وتحليل المطلقات، واستغلال المرتزقين بالفتوى والتحليل ووكالة الدعاوى والقضاء لجهل الناس بتحليل ما يعتقدون تحريمه بالحيل الباطلة

﴿ الجواب عن مسألة الحيل وتحليل المطلقات وأمثاله ﴾

وأما هذه الحيل التي يسمونها شرعية فلو كانت مشروعة في دين الله باطلاق لكان الشرع هادما لنفسه، وجميع الحقوق والحدود فيه أموراً صورية يمكن لكل أحد التفصي منها، والتمتع بالمفاسد التي وردت النصوص القطعية بحظرها، والاغراء بالفسق والفجور وأكل أموال الناس بالباطل وبالكفر أيضا — فان من هذه الحيل ان ترتدّ المرأة عن الاسلام ليفسخ نكاحها، وأن تمكن المرأة ابن زوجها من نفسها لينفسخ نكاحها وتحرم عليه أبداً — وان يسكر مريد الزنا ثم يزني ليسلم من الحد بناء على قول من يقول ان السكران لا يؤاخذ ان كان متعديا بسكره، وأن يهب المكلف بالزكاة أو الحج ماله الذي ثبت به ذلك عليه لامرأته أو ولده قبيل انتهاء حول الزكاة أو خروج ركب الحج ثم يسترده بعد ذلك — وأمثال هذه المفاسد كثير. ولما ظهرت في بلاد الاسلام، وعلم بها بعض الائمة الاعلام، قالوا: ان

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

من أفتى بها فقد قلب الاسلام ظهرا لبطن، ونقض دين الله عروة عروة ، بل صرحوا بان الذي يقول بذلك أو يرضى به يكون كافراً خارجا من هذه الملة

وقد صح ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه خطب الناس على منبر رسول الله (ص) وقال : لاأوتى بمحلل ولا محلل له الا رجمتهما . وقد أقره سائر الصحابة على ذلك فلم يخالفه فيه أحد كما خالفه ابن عباس وغيره في امضاء الطلاق الثلاث باللفظ الواحد . والروايات عن الصحابة والتابعين وعلماء الامصار في بطلان هذه الحيل كثيرة . وقد استقصى المحقق ابن القيم في كتابه (اعلام الموقعين) دلائل بطلان الحيل وما احتج به المجوزون لها مع الرد عليهم وابطال شبهاتهم .

وأظهر أسباب هذا الفساد في الامة التقليد الذي مقتضاه اتباع العلماء في كل آرائهم وظنونهم الاجتهادية — والاجتهاد كله ظنون و بعض الظن إثم — وليس أحد منهم معصوما في اجتهاده بل لكل عالم زلات . حتى ان اجماع المجتهدين بعد الصحابة لم يقم دليل قطعي على انه حجة فهو غير مجمع عليه وقد خالف جمهور أئمة الفقه كثيراً من علماء الصحابة والتابعين ، فقاعدة التقليد التي عليها المنتمون الى المذاهب — وهو انه يجب على كل منتم الى مذهب ان يعمل بكل ما اعتمده المؤلفون فيه — بدعة لم يقل بها إمام مجتهد قط بل حرّمها جميع الائمة أي أثبتوا تحريم الله لها ولكن المقلدين يخالفونهم في أصول مذاهبهم وهم لا يشعرون

هذا وان من الاحكام التي تدخل في عموم الحيل ماهو صحيح وهو مالا يخل بمدلول نصوص الشرع ولا ينقض حكمته فيه ومراده من درء المفاسد وحفظ المصالح، وقد جعل ابن القيم الحيل قسمين محرمة وجائزة، فالاولى أن تكون الحيلة نفسها محرّمة والمقصود بها محرم، أو تكون مباحة ويقصد بها المحرم ، والثانية ان تكون الوسيلة مشروعة والمقصود بها مشروعا، وقد سرد أمثلة كثيرة لكل قسم منهما ولعلنا نعود الى تلخيص ذلك في مقالة أو مقالات فانه مما يحتاج اليه كل من يجب أن يكون على بصيرة من دينه

وما ذكره السائل من الحيل المألوفة في تحليل المطلقة كله باطل — فاما اعتبار العقد الاول باطلا على قول بعض الفقهاء الذين يشترطون في صحة العقد مالا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يشترطه غيرهم — كاشتراط الشافعي الولي العدل والشهود العدول — وجعل الطلاق غير واقع لانتفاء الزوجية فهو مفسدة ظاهرة ، فان الزوجين يلزمهما ما التزاما من العقد وما يترتب عليه بعد العمل بمقتضاه مع اعتقاد صحته وهو المعاشرة الزوجية واستحلال البضع ، حتى اذا فرض انهما كانا قد تعاقدا على مذهب قام الدليل عندهما على صحته ثم تغير اعتقادهما فان هذا التغيير لا يؤثر بعد انتهاء العمل ، فلا يجب على من كان يمسح بعض رأسه في الوضوء أن يعيد كل صلاة صلاها اذا صار يعتقد أن مسح جميع الرأس واجب ، بل يجب أن يعمل بهذا الاعتقاد بعد ظهور ترجيحه له ، والمسائل المدنية أولى بالنفاذ والمضيّ على الصحة بالتزامها والعمل بها لما يترتب على عدم الالتزام من المفاسد المتعلقة بالنسب والارث وغير ذلك ، وقد صرح بعض العلماء المحققين بان العمل ببعض المسائل المختلف فيها وحكم الحاكم بها يرفعان الخلاف حتى كأنه لم يكن ، ولا يتسع هذا الموضع للتطويل بالاستدلال ونقل الشواهد على ما ذكر

وأما التحليل بمجرد العقد أو الخلوة بزوج صغير لم يبلغ الحلم فهو مخالف لنصوص الكتاب والسنة المثبتة بان التي طلقت ثلاث مرات لا تحل للاول حتى تنكح زوجا غيره نكاحا صحيحا عن رغبة وهو لا يتحقق الا بذوق العسيلة ، وقد أطال شيخنا الاستاذ ابن تيمية في كتاب ابطال التحليل وابن القيم في اعلام الموقعين في بيان ذلك ودفع شبهات المشتبهين وتأويلات المحتالين . ويستحق أولئك المحللون التعزير ولكن أين من يفعله ؟

﴿ الجواب عن مسألة الطلاق قبل التحكيم ﴾

أما شرع الطلاق مع عده مكروها شرعا ومبغضا من الله عز وجل لاجل حل عقدة الزوجية اذا تعذر أو تعسر على الزوجين إقامة حدود الله تعالى في الزوجية بأن يقع بينهما من التباغض والشقاق مالا يستطيعان عليه صبرا . وارادة الاصلاح والاستعانة عليها بتحكيم حكم من أهله وحكم من أهلها مما شرعه الله تعالى بنص كتابه ، ولكن ليس في هذا النص ولا في غيره دليل على توقف صحة الطلاق على تقديم التحكيم عليه واليأس من الاصلاح به ، وأما ما جرى عليه الناس في مثل

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

هذه البلاد المصرية من الاسراف في الطلاق ، وبنائه على أوهى الاسباب ، فهو مما يبغضه الله ويكرهه شرعه وينبغي لحكام المسلمين اتخاذ الوسائل لتلافيه ، سدا لذرائع الفساد فيه

﴿ الجواب عن مسألة الحلف بغير الله ﴾

لا يجوز في الاسلام الحلف بغير الله وأسمائه وصفاته ، وقد نقل الحافظ ابن عبد البر الاجماع على ذلك، وقال بعض العلماء ان عدم الجواز فيه يشمل التحريم والكراهة ، وقد فصلنا القول في هذه المسألة من قبل فراجعه في تفسير آية الايمان من أواخر سورة المائدة (ص ٣٣ — ٤٨ ج ٧ تفسير) وفي المنار

وأما الحديث الذي ذكره السائل فقد رواه أحمد وأبو داود والترمذي وحسنه والحاكم وصححه من حديث ابن عمر بلفظ « من حلف بغير الله فقد كفر » وفي رواية أحمد فقد أشرك . ولا أذكر له رواية باللفظ الذي أورده . فان لم تكن الزيادة التي ذكرها مروية فهي تفسير . اذ المراد على وجه ان من يحلف بغير الله لانه يعظمه كما يعظم الله ويتدين بالحلف به ويلتزم البر تعظيما له كما كانوا يحلفون بالاصنام وبالكعبة فقد كفر، وأوله بعض العلماء تأويلا آخر

﴿ الجواب عن مسألة التفاضل بالتقوى ومعارضته بكفاءة النكاح ﴾

لا شك في ان الاسلام قد أبطل ماجرى عليه كثير من الامم من تفضيل بعض الناس على بعض بأنسابهم أو حصر بعض المناصب الدينية أو المدنية فيهم، أو بقوتهم وثروتهم ، وقرر ان الناس انما يتفاضلون بالعمل الصالح المعبر عنه بتقوى الله تعالى كما قال (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) وبالايمان والعلم كما قال (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) ولا يتعارض هذا مع الكفاءة في الزواج لان مسألة الكفاءة من المسائل التي يراعي فيها عرف الناس طرق عيشتهم وعلائق التواد والتحاب بالمصاهرة بينهم ، فاذا حكم بأن الرجل الفقير ليس كفؤا للمرأة الغنية فليس معنى ذلك انها أفضل عند الله منه أو أحق

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بالتكريم من الناس بل معناه أنه لا يستطيع أن يقوم بنفقتها بما تعودت من أساليب المعيشة في طعامها ولباسها، وان هذا قد يعود بالضرر والعار على أهلها، فكان لهم أن يعارضوا في تزوجها به يقال مثل ذلك في انتفاء الكفاءة بين الطبقات الدنيا من الصناع والعمال و بين بيوت الشرف والامارة، فان كان في هذا شيء منتقد فالذنب فيه على الرأي العام والعرف المحكم بينهم، وقد فصلنا القول في ذلك بمقال كتبناه بمناسبة تزوج الشيخ علي يوسف (رحمه الله) ببنت السيد عبد الخالق السادات وفسخ القاضي العقد بدعوى عدم الكفاءة. وقد نشرت تلك المقالة في الجزء العاشر من مجلد المنار السابع. ومما بيناه فيها ان المسألة اجتهادية، وليست من أصول الشريعة المنصوصة في الكتاب والسنة، وان العبرة فيها بالتعيير الذي يخشى أن يكون سببا للشقاق في الاسرة. فاذا رضيت المرأة وأولياؤها بأن تتزوج بمن لا يعد كفؤا لها في العرف صح ذلك. فكيف تعد هذه المسألة الاجتهادية العرفية معارضة لاصل ثابت بنصوص الكتاب والسنة ؟

﴿الجواب عن مسألة الحرف الخسيسة والشريفة وكسب الحجّام﴾

ان حاجة الناس الى جميع الحرف لم يمنع اتفاقهم في كل زمان ومكان على أن بعضها شريف و بعضها دنيء أو خسيس فلا يوجد أحد من البشر يسوّي بين ربان السفينة ووقاد النار فيها، ولا يجعل الكناسة والكساحة، بمنزلة الطبابة أو الصحافة، وان من حكم الله في خلق البشر متفاوتين في الاستعداد العقلي والنفسي أن يقوم كل فريق منهم بما يحتاج اليه المجموع من العلوم والاعمال، ولذلك اختلف العلماء في الجمع بين حديث « كسب الحجّام خبيث » وقرنه بمهر البغي وثمن الكلب وهو في صحيح مسلم والسنن الثلاث و بين مدحه (ص) للحجامة وحثه عليها وإعطائه الحجام أجرة حجمه له . ففي حديث أنس المتفق عليه انه (ص) احتجم حجمه أبو طيبة فأعطاه صاعين من طعام وكلم مواليه فخففوا عنه . وكذلك حديث ابن عباس المتفق عليه قال : احتجم النبي (ص) وأعطى الحجّام أجره — ولو كان سحتا لم يعطه. وفي لفظ للبخاري في البيوع : ولو كان حراما لم يعطه ، وفي لفظ له في الاجارة : ولو علم كراهية لم يعطه . وجمهور المسلمين

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

من السلف والخلف على ان كسب الحجّام حلال، وأجابوا عن حديث مسلم المذكور آنفا وما في معناه بأجوبة (منها) ان الحجامة مكروهة كراهة تنزيه لدناءتها في العرف وخص الكراهة بعضهم — ومنهم الامام احمد — بالاحرار دون العبيد (ومنها) ان النهي عن احترافها وكسبها منسوخ ورجحه الطحاوي الحنفي (ومنها) انها مما يجب من اعانة المرء لاخيه فيكره أخذ أجر عليها لانه ينافي المروءة قاله ابن الجوزي الحنبلي (ومنها) ان محل الجواز اذا كانت الاجرة على عمل معلوم ومحل الزجر اذا كان مجهولا قاله ابن العربي المالكي

﴿ الجواب عن مسائل التحية والسلام بدءا وردا ﴾

بينا في تفسير الآية ان لفظ التحية فيها على اطلاقه يصدق بكل ما يحيي الناس به بعضهم بعضا . وان ما ورد في التحية بلفظ السلام وكونه تحية الاسلام ليس في شيء منه ما يدل على تقييد الاطلاق في الآية ولا سيما الرد وانما غايته أنه يستحب تفضيله على غيره من التحيات ولا سيما تحيات غيرنا اذ الاسلام يرفعنا عن دركة الامم التابعة الى درجة الائمة المتبوعين وان السلام على غير المسلمين بدءاً وردا مشروع أيضا وقد اختلف فيه الفقهاء اختلافا بينا تحقيق الحق فيه من قبل في فتوى نشرت في مجلد المنار الخامس وذكرناها في تفسير آية التحية المشار اليها آنفا . ومما أوردناه فيها دليلا لذلك حديث أبي أمامة عند الطبراني والبيهقي « ان الله تعالى جعل السلام تحية لامتنا وأمانا لاهل ذمتنا » ولكن سنده ضعيف، وحديث الصحيحين «وان تقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف» فراجع التفصيل في جزء التفسير الرابع أو في المجلد الرابع عشر من المنار (ص٤٩٥ — ٥٠٠)

﴿ منع الحج هل يجوز لاحد ﴾

(س ١٨) من صاحب الامضاء « المكي » بمصر

أيها السيد الرشيد

ما قولكم دام فضلكم في السؤال الآتي : هل يجوز لاي مسلم منع مسلم من أداء فريضة من فرائض الاسلام في أي مكان كان وفي أي ظرف كان ؟ أفيدونا بالجواب في مجلتكم المنار الاغر أنار الله بها المسلمين وهداهم وأثابكم بأحسن الاعمال خيرا عظيما

« المكي »

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(ج) قد علمنا من السائل أنه يريد بسؤاله منع ملك الحجاز حسين بن علي للترك واهل نجد من أداء فريضة الحج لما بينه وبين الفريقين من العداوة السياسية. والجواب عن هذا من المسائل المعلومة من الدين بالضرورة وهو انه لايجوز لاحد منع احد من إقامة دينه وأداء فرائضه ومن استحل ذلك فحكمه معلوم بالضرورة لاخلاف فيه بين المسلمين في كفره. ونحن لا نعتقد أن ملك الحجاز يستحل هذا العمل مطلقاً، ولكنه يعذر نفسه، بأن في دخول أعدائه الحجاز خطراً على ملكه، ويقال انه يأذن للنجديين في دخول الحجاز لاجل الحج عزلا وهم لا يأمنون على انفسهم من انتقامه اذ لم يكونوا مستعدين للدفاع عن انفسهم في بلاده، ولم يبلغنا من غير السائل أنه يمنع افراد الترك من الحج. أولا يظن انه يخاف منهم ضررا اذ ليس في استطاعتهم أن يؤذوه الا بالكلام وازالة هذا الاذى في إبانه واخذه بربانه هنالك من أيسر الامور عليه لكثرة جواسيسه في البلاد على ان السياسة لاتقف عند حدود الدين ولذلك بينا في المنار ان الحجاز يجب ان يكون على الحياد لايحارب احداً ولا يحاربه احد، ولا يصح ان يكون دار ملك يعادي ويعادى ويقاتل ويقاتل، لان ذلك يفضي الى منع كثير من المسلمين من إقامة ركن من اهم اركان دينهم، واذا لم يسع المسلمون الى تأمين حرم الله تعالى وتمكين كل مسلم من أداء فريضة الحج اذا أرادها يكونون آثمين كلهم. نعم ان الذي يجب عليه هذا قبل كل أحد هو إمام المسلمين وخليفتهم، ولكن ليس لهم في هذا الزمن إمام مطاع، والذي يعترف له أكثر المسلمين بالخلافة واقع تحت سيطرة بعض الدول غير المسلمة، ولذلك أفتى بعض علماء الهند والقوقاس بسقوط فريضة الحج في هذه الايام، معللين ذلك بخروج الحرمين من سلطة الاسلام، ووقوعها تحت سيطرة غير المسلمين، وسنبين ما في فتواهم من الخطأ في جزء آخر. وقد أذاع بعض الاجانب الذين اتخذوا ملك الحجاز عدوا لهم أن بلاد الحجاز غير آمنة، وان حكومتها تصادر الحجاج، والحق ان الحجاز في أمن تام وأن الملك حسينا يعنى بأمر الامن كل العناية، وما تأخذه حكومة الحجاز من الرسوم لنفسها وما سمحت به من زيادة اجور الجمال التي تنقل الحجاج كل ذلك مما يسهل احتماله، وهي لا تصادر فيما نعلم الا النقود الفضية العثمانية فمن كان لا يملك غيرها ويلحقه غبن ببيعها بأقل من ثمنها فربما يعد غير مستطيع للحج في هذه الحال

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الاسلام والنصرانية

﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ﴾

كتب الينا من بيروت ان مجلة المشرق الجزويتية قد صارت تصرح بالطعن في الاسلام إذ زالت الحكومة العثمانية التي كانت تمنعها من التصريح ، فتتوارى أحيانا وراء مايحتمل التأويل من تعريض وتلويح ، ورغبوا الينا في الرد عليها لان الدفاع عن الاسلام من أهم مقاصد المنار، ويرون أن السكوت عنها ربما يفضي الى التمادي الضار ، ولما كانت أعمالنا الكثيرة لاتترك لنا وقتا لمطالعة هذه المجلة كلها للاطلاع على كل ماتنشره نطلب منهم أن يبينوا لنا ذلك الطعن بنقله أو تعيين مواضعه من أجزائها .

هذا وان دعاة البروتستانية في مصر وغيرها لايزالون ينشرون النشرات والرسائل الكثيرة في الطعن في الاسلام والتنفير عنه والدعوة الى دينهم حتى مللنا من النظر فيها لتشابهها في الضعف والسخف والتكرار ، وهذا هو سبب سكوتنا عنهم في هذه الآونة مع رفع المراقبة عن الصحف لا إيذاؤهم لنا بما نجحوا به من منع المنار من دخول السودان ، الذي قام حجة على رياء الانكليز المتبجحين بدعوى حرية الاديان .

وقد صرحنا من قبل بأننا لانرى في هذه المطاعن ضررا على المسلمين في نفس دينهم ولا في استمالتهم الى النصرانية بل هي أشد ماينفرهم من النصرانية ويزيد العارفين بدينهم اعتصاما به ومحافظة عليه ، وإنما نخشى منها احدى مفسدتين (الاولى) فساد عقيدة بعض المسلمين وصيرورتهم منافقين أو اباحيين (والثانية) أن تكون سببا للتعادي والتباغض الضار بين أبناء الوطن الواحد ، فلهذا نذكر إخواننا في سورية بأنه ينبغي لهم أن يوطنوا أنفسهم على حرية البحث والنقد ، واحتمال أذى الطعن والرد ، وأن لايجعلوا المناظرات الكلامية ، مؤثرة في العلاقات الوطنية ، وأن يعلموا أن حرية البحث اذا كانت عامة فان الفلج والظفر فيها انما يكون لصاحب الحق ، ولا سيما اذا التزم الادب في القول والفعل ، وأن الاسلام هو دين الفطرة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والعلم والعقل ، وان النصرانيـة الحاضرة مبنية على وجوب التقليد للكنيسة بلا معارضة ولا بحث ، وان من يتركون التقليد من أهلها ، ويناقشون الكنيسة في تعليمها ، ويطالبونها أو يطالبون أنفسهم بالدليل ، واستقلال العقل في فهم الدين، فانهم لامحالة ينتهون الى ماجاء به الاسلام ، سواء علموا أولم يعلموا تلك الحقائق التي قررها القرآن ، وهذا واقع في بعض البلاد الاوربية الآن ، كما يعلم ذلك من الشاهد الذي ننقله هنا عن جريدة (الديلي تلغراف) وسينتهي التمادي في أمثال هذه المباحث الى عقيدة التوحيد ، والرجوع عن التثليث وتأليه المسيح ، والاخذ فيه بما قرره القرآن ، وتعميم الاهتداء به في كل مكان، والنجاة به من مساوئ المادية ، ومفاسد الشيوعية ، وينجز الله وعده الحق ، بقوله (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق) ، وان المقـدمات والاسباب لذلك قد صارت كثيرة ، وان منها ماهي صحيحة وما هي غير صحيحة ، وسيمتاز الصريح بتكرار المحض ، فيذهب الزبد ويبقى المحض ، (فأما الزبد فيـذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الارض)

كتب رجـل مسلم بصـير مقيم في أوربة مراقب لتطورها الديني والادبي والاجتماعي كتابا الى صديق له قال فيه :

« أعرفك ان مسألة ألوهية المسيح أصبحت في بلاد الانكليز موضوعا لامم المباحثات والمناقشات بين المفكرين المشتغلين بالمسائل الدينية والفلسفية ولاسيما رجال الاكليروس الانجليكاني كما يتضح ذلك مما ينشر في هذه الايام الاخيرة على صفحات الجرائد الانكليزية واني أرسل اليك طيّ هذا نموذجا لهذه المناقشات اقتطفناه من جريدة الديلي تلغراف . واني على تمام اليقين من ان الانكليز والامريكان سيرجعون في القريب العاجل عن (عقيدتي) التثليث وألوهية المسيح كما رجعوا من قبل عن كثير من مثلها من . . . . و . . . . [1] التي كان ينهى عن مثلها الاسلام هم بها متمسكون .

(١) المنار : حذفنا من هذا الموضع ومن موضع آخر بعده كلمات لا نستحسن نشر مثلها في الصحف العامة اذ ليست كالكتب الخاصة .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

« فيا أيها الاخ الحكيم اذا صرفت نظرك برهة عن مرسح السياسة العالمية الذي أخذ بلبك ، وتوجهت اليه بكل قواك وحواسك ، وتأملت مليا فيما يدور ويجري في الخفاء بين الجماعات البشرية في الغرب — يظهر لك ان الشرق المغلوب المقهور الذي يئن تحت نير الظلم والاستبداد الغربي هو مع ذلك يهاجم في هذه الآونة العالم المسيحي من جميع الانحاء بجيوش جرارة تفوق جيوش صدر الاسلام قوة وفيالق آل عثمان عند مادوخوا أوربة بأسا ، ولكنها في هذه المرة ليست مسلحة بالسيف البتار ، بل بأسلحة معنوية ، مثل الفلسفة الهندية ، والمبادئ الصوفية ، والتعاليم البهائية ، والمذاهب التيوسوفية والانتروبوسوفية ، وغير ذلك من الافكار والمبادئ الروحانية ، التي تتسرب كل يوم بطريقة غير محسوسة الى أذهان الغرب وقلوب أبنائه من حيث لا يشعرون

« ولا بد أن يأتي يوم — إخاله قريبا — يفتح فيه الشرقُ الغربَ فتحا معنويا مبينا فيقوم أهله قومة صادقة يكسرون بأيديهم تماثيلهم و... ويهدمون كنائسهم وه .. ليقيموا مكانها المعابد الحقيقية التي لا يعبد فيها الا الواحد القهار ، طبقا لشريعة سيد الانام ، محمد عليه الصلاة والسلام ، فطوبى لمن يعيش ويرى يوما يتعانق فيه الشرق والغرب ويصبح عباد الله إخوانا في التوحيد والاسلام »

وهذه ترجمة ماقتطفه الكاتب من جريدة الديلي تلغراف

علاقة المسيح بالله

كبريدج لمراسلنا الخاص بتاريخ ١٣ — ٨ — ١٩٢١

ان درجة ابتعاد اللاهوتيين العصريين عن العقائد التقليدية الموروثة قد ظهرت اليوم ظهورا واضحا في مؤتمر رجال الكنيسة فقد تكلم ذو الاحترام الكلي (هاستنس راشدول) مطران كارليل في مسألة « المسيح كلمة الله وابنه » فقال ان الطلب يزداد على اللاهوتيين الاحرار[1] ليوضحوا بعبارات صريحة مايقصدونه

(١) المنار : يقابل هؤلاء الاحرار المقلدون الذين لا يعيرون الادلة التفاتا ، وقوله بعده بعبارات صريحة يشير الى ان بعض الاحرار لا يتجرءون على التصريح بما يثبت عندهم من بطلان تقاليدهم فيعبرون عنه بالكناية والتعريض المحتمل للتاويل

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

حقيقة عند مايستعملون العبارات التقليدية عن ألوهية المسيح . وبدأ الدكتور (راشدول) يبحث في السؤال من وجهته السلبية فقال : ان المسيح لم يدعّ الالوهية لنفسه. نعم انه ربما دعا نفسه أوتسامح على الارجح بأن يدعى «مسيّا»[1] أو ابن الله ولكن لم يرد في الاقوال الثابتة عنه شئ يدل على انه كان يرى علاقته بالله غير علاقة رجل بالله. وهي العلاقة التي كان يريد أن يستشعرها كل انسان . فيستخرج من هذا القول ان المسيح كان انسانا بكل معنى الكلمة ولم يكن انسانا بجسمه فقط بل كانت نفسه وعقله وارادته انسانية أيضا. ولم تكن تعترف الكنيسة بذلك دائما وان كان كثيرون من الآباء اليونانيين (كاداناسيوس واثناسيوس)[2] قد تمثلوه كلمة الله مقيمة في جسم بشري، وانكرت المجامع التي عقدت بعد ذلك هذا التعريف بزعامة أبولينار يوس ولا يمكن الغلو في ان يؤكد من نقطة النظر اللاهوتية بعد ذلك ان اثناسيوس كان من مذهب (ابولينار يوس) وأخشى أن يكون كثير من الناس الذين يظنون انهم مستقيمو الرأي ليسوا سوى أبولينار يين . وقد عرفت كثيرا من الكاثوليك المتنورين يجهلون ان الكنيسة تعلم ان المسيح نفسا بشرية فكثير مما يسمى استقامة في الرأي « ليس سوى أبولينارية . و بعض المدافعين عن العقائد الكاثوليكية الواقفين عليها وقوفا يحول دون جعلهم أبولينار يين صريحين هم في الحقيقة تحت تأثير تلك المبادىء في شكلها الاخير المعدل الذي ينكر ان المسيح كان ذا ارادة بشرية

ثم قال : وليس من الاستقامة في الرأي البتة ان يفرض أن نفس المسيح البشرية كانت موجودة من قبل ، إذ لا أساس لعقيدة كهذه ، فمنذ قبلت الكنيسة مبدأ كون المسيح كلمة الله تعين ان الذي كان موجودا في ماسبق هو الكلمة الالهية

(١) مسيا بتشديد الياء المسيح وهو الملك الذي كان اليهود ولا يزالون ينتظرونه

(٢) اثناسيوس بطرك الاسكندرونة في القرن الرابع المسيحي كان اتهم بآراء آريوس الذي أنكر في القرن الثالث ألوهية المسيح . وأبو لينار يوس من أساقفة اللاذقية وقد تبع بعض آراء آديوس ولكن له فلسفة خاصة في المسيحية وقد حرم تعليمه في المجمع الاسكندري سنة ٣٦٢ والمجمع الروماني سنة ٣٧٣ وله أتباع ينسبون اليه .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لا المسيح البشري . ان ألوهية المسيح لاتتضمن بالضرورة الولادة من عذراء أو أي معجزة أخرى . فالولادة من عذراء اذا أمكن اثباتها تاريخيا لاتكون مظهرا لالوهية المسيح ولا بوقع عدم اثباتها ريبا في تلك العقيدة ، كما ان ألوهية المسيح لاتتضمن أن يحيط بكل شيء علما . ولم تبق حاجة للكلام في هذا الموضوع بعد ظهور الخطب التي ألقاها المطران (بخور) في (بامبتون) بالرغم من كون عقيدة تجديد علم المسيح لم ترسخ بعد في أذهان العامة .

ان النظريات الحديثة في اليوم الآخر قد زادت في ضرورة التسليم بأن ذلك التجديد يجب أن يكون أعظم مما ذكره المطران (غور) ومن على رأيه . وعلى فرض انهم جعلوا الاقوال الثابتة عن المسيح في اليوم الآخر أقل ما يمكن — وهذا ما كان المطران نفسه يميل الى فعله — فمن الصعب إنكار ان المسيح كان يتوقع حدوث أشياء في المستقبل لم يحققها التاريخ . فالحقيقة الرأي العصري اذن في العلاقة بين الله والانسان ؟ هو ان الانسان ليس خليقة لله يتسلى بها ، وان جميع العقول البشرية نسخة في شكل محدود عن العقل الالهي ، وان في جميع التفكرات البشرية الصحيحة نقلا عن الفكر الالهي ، وان في اسمى المقاصد التي يعترف بها الضمير البشري جلاء للمقصد السامي الخالد في الفكر الالهي — هذه هي الفروض التي يمكن ان يفسر بها وحدها معنى تلك العقيدة . واذا كنا نعتقد ان كل نفس بشرية تنقل عن الله وتجلوه وتجسده الى درجة معينة — واذا كنا نعتقد أن الله يتجلى لكبراء معلمي الآداب في البشر ولزعماء الدين ومؤسسي الاديان ومصلحيها أكثر مما يتجلى لسواهم — فمن الممكن اذن أن نعتقد ان شخصا واحدا كالمسيح امتاز عن سواه في علاقته الشخصية بالله فكانت سامية فريدة رفيعة عن سواها . وان صفات المسيح وتعاليمه تحتوي خير ما يتجلى من صفات الله نفسه وارادته في البشر — هذا هو المعنى الحقيقي الذي نفهمه من ألوهية المسيح (١)

(١) المنار : ملخص هذه العقيدة بعبارة اسلامية صوفية ان هذه المخلوقات مظهر من مظاهر صفات الله تعالى كعلمه وحكمته وان خيار البشر كالانبياء والصديقين قد تجلى فيهم من آثار الكمال الالهي في البشر ما لم يتجل في غيرهم فظهر ذلك في صفاتهم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

شعور المسيح

وتلاه القس هـ . د . ا . ماجور رئيس ريبون هول (اكسفورد) وخص كلامه بنظرية «المسيح في البنوة الالهية» فقال ان من المشاكل العويصة في نقد الانجيل معرفة ماهية رأي المسيح نفسه في بنوته لله . انه قد ذكر بصراحة تامة انه لا يعتبر مهمته سياسية ، وقد خدم الاستاذ (ليك) الانجيل خدمة حقيقية باظهاره مافي تعاليم المسيح من الصفات المعارضة للسياسة تجاه الدعوة السياسية التي كان يبثها المتعصبون . كان المسيح يعتبر انه هو (مسيحًا) و يعتقد انه وكيل مملكة ولكن لم تكن له علاقة بالسياسة بالمعنى المفهوم من سياسة مملكة لانه كان معارضا لنظريتها الاقتصادية

ثم تناول الخطيب مسئلة ما اذا كان المسيح ادعى انه كان ذا شعور ومعرفة سابقين لوجوده كما هو مثبت في الانجيل الرابع فقال انه يرى انهم اليوم يستطيعون ان يصرحوا ان شعور المسيح كان شعوراً بشريًا تامًا — تاركا مسئلة الشعور السابق الوجود بدون حل — وانه ليس فيه من خوارق الطبيعة والمعجزات مالا يمكن أن يعزى الى سواه من البشر . وأما كونه ابن الله فقد سوغ لهم أن يدعوه «الهي» كما دعي في الانجيل الرابع ، فان القس ماجور يظن ان لغة المحبة والتعظيم تسمح بذلك ، ولكن مثل هذا التعبير لم يقره المسيح ولا يظن ان المسيح كان يهتم بما كان يلقب به . ولا شك في ان الذين لم يعرفوا المسيح بالاسم ولكن أظهروا للناس روح الخدمة والتضحية التى هي روح المسيح أقرب اليه من الذين لم يظهروا روحه في شؤون حياتهم اليومية وان كانوا متمسكين بأعظم الآراء غلوًا في شخص المسيح اهـ ما جاء في رسالة الديلي تلغراف . ومن الظاهر البين منه أنهم يرجعون فيه الى التحقيق والاصلاح الذي بينه الله لعباده على لسان روح الحق الذي بشر به المسيح وقال انه يعلمهم كل شيء . والحمد لله رب العالمين

وتعاليمهم وأعمالهم ، فلا غرو إذن أن يكون ما تجلى من ذلك في المسيح عليه الصلاة والسلام ، ممتازا عما كان قد تجلى فى سائر الصالحين من الناس.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

رسالة
تطهير الاعتقاد عن أدران الالحاد

(تأليف) الامام المحدث الشهير محمد بن اسماعيل الامير اليمني الصنعاني

بسم الله الرحمن الرحيم وهو المستعان

الحمد لله الذي لا يقبل توحيد ربوبيته من العباد . حتى يفردوه بتوحيد العبادة كل الافراد. من اتخاذ الانداد . فلا يتخذون له نداً . ولا يدعون معه أحداً : ولا يتكلون الا عليه . ولا يفزعون في كل حال الا اليه . ولا يدعونه بغير أسمائه الحسنى . ولا يتوصلون اليه بالشفعا . (من ذا الذي يشفع عنده لا باذنه) وأشهد أن لا إله إلا الله ربا معبودا . وأن محمداً عبده ورسوله الذي أمره أن يقول (قل لا أملك لنفسي ضراً ولا نفعا الا ماشاء الله) — وكفى بالله شهيداً . صلى الله عليه وعلى آله والتابعين له في السلامة من العيوب . وتطهير القلوب عن اعتقاد كل شيء يشوب

﴿ وبعد ﴾ فهذا (تطهير الاعتقاد . عن ادران الالحاد) وجب عليّ تأليفه . وتعين عليّ ترصيفه . لما رأيته وعلمته من اتخاذ العباد الانداد . في الامصار والقرى وجميع البلاد . من اليمن والشام ونجد وتهامة وجميع ديار الاسلام . وهو الاعتقاد في القبور . وفي الاحياء ممن يدعي العلم بالمغيبات والمكاشفات وهو من أهل الفجور .(١) لا يحضر المسلمين مسجداً . ولا يرى لله راكعا ولا ساجداً . ولا يعرف السنة ولا الكتاب. ولا يهاب البعث ولا الحساب . فوجب علي أن أنكر ما أوجب الله انكاره . ولا أكون من الذين يكتمون ما أوجب الله اظهاره . فاعلم ان ههنا أصولا هي من قواعد الدين . ومن أهم ما تجب معرفته على الموحدين

(١) المنار : هذه صفة كاشفة بان هؤلاء الادعياء كلهم أو جلهم كذلك لان التقي الصالح لا يدعي هذه الدعوى ولو ادعاها لخرج بها عن الصلاح فهي دعوى لا تقبل من أحد وان كان ما يسمونه المكاشفة يقع أحيانا وهو من فراسة المؤمن الثابتة في الحديث

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

﴿ الاصل الاول ﴾ انه قد علم من ضرورة الدين ان كل ما في القرآن فهو حق لا باطل، وصدق لا كذب، وهدى لا ضلالة، وعلم لا جهالة، ويقين لا شك فيه. فهذا الاصل أصل لا يتم إسلام أحد ولا إيمانه إلا بالاقرار بهذا الاصل [1] وهذا مجمع عليه لا خلاف فيه

﴿ الاصل الثاني ﴾ ان رسل الله وأنبياءه من أولهم الى آخرهم بعثوا الدعاء العباد الى توحيد الله بتوحيد العبادة، وكل رسول أول ما يقرع به اسماع قومه قوله (ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره — أن لا تعبدوا إلا الله — أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون) وهذا الذي تضمنه قول لا إله إلا الله فانما دعت الرسل أممها الى قول هذه الكلمة واعتقاد معناها لا مجرد قولها باللسان، ومعناها هو إفراد الله بالالهية والعبادة والنفي لما يعبد من دونه والبرائة منه. وهذا الاصل لا مرية في ماتضمنه ولا شك فيه وانه لا يتم إيمان أحد حتى يعلمه

﴿ الاصل الثالث ﴾ ان التوحيد قسمان القسم الاول توحيد الربوبية والخالقية والرازقية ونحوها ومعناها ان الله وحده هو الخالق للعالم وهو الرب لهم والرازق لهم وهذا لا ينكره المشركون ولا يجعلون لله فيه شريكا بل هم مقرون به كما سيأتي في الاصل الرابع. والقسم الثاني توحيد العبادة ومعناها افراد الله وحده بجميع أنواع العبادات الآتي بيانها فهذا هو الذي جعلوا لله فيه الشركاء ولفظ الشريك يشعر بالاقرار بالله تعالى. فالرسل عليهم السلام بعثوا لتقرير الاول ودعاء المشركين الى الثاني مثل قولهم في خطاب المشركين (أفي الله شك ؟ هل من خالق غير الله ؟) ونهيهم عن شرك العبادة ولذا قال تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا ان اعبدوا الله) أي قائلين لامهم أن اعبدوا الله فافاد بقوله « في كل أمة » ان جميع الامم لم ترسل اليهم الرسل الا لطلب توحيد العبادة لا للتعريف بان الله هو الخالق للعالم وانه رب السموات والارض فانهم مقرّون بهذا، ولهذا لم ترد الآيات في الغالب الا بصيغة استفهام التقرير نحو (هل من خالق غير الله ؟ — أفمن يخلق كمن لا يخلق ؟ — أفي الله شك فاطر السموات والارض ؟ — أغير الله اتخذ وليا فاطر السموات والارض ؟ — أروني ماذا خلق الذين من دونه ؟ — أروني ماذا خلقوا

(١) الظاهر هنا الاضمار وهو أن يقول الاب

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

من الارض ؟) استفهام تقرير لهم لانهم به مقرون ، وبهذا تعرف ان المشركين لم يتخذوا الاصنام والاوثان ولم يعبدوها ولم يتخذوا المسيح وأمه ولم يتخذوا الملائكة شركاء لله تعالى لانهم أشركوهم في خلق السموات والارض بل اتخذوهم لانهم يقربونهم الى الله زلفى كما قالوه - فهم مقرون بالله في نفس كلمات كفرهم - وأنهم شفعاء عند الله قال الله تعالى (قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض سبحانه وتعالى عما يشركون) فجعل الله تعالى اتخاذهم للشفعاء شركا ونزه نفسه عنه لانه لا يشفع عنده أحد الا باذنه فكيف يثبتون شفعاء لهم لم يأذن الله لهم في شفاعة ولا هم أهل لها ولا يغنون عنهم من الله شيئا

﴿ الاصل الرابع ﴾ ان المشركين الذين بعث الله الرسل اليهم مقرون ان الله خالقهم (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله) وانه الذي خلق السموات والارض (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم) وانه الرازق الذي يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي وانه الذي يدبر الامر من السماء الى الارض وانه الذي يملك السمع والابصار والافئدة (قل من يرزقكم من السماء والارض ؟ أمّن يملك السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ؟ ومن يدبر الامر ؟ فسيقولون الله ، فقل أفلا تتقون — قل لمن الارض ومن فيها إن كنتم تعلمون * سيقولون لله قل أفلا تذكرون * قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم * سيقولون لله قل أفلا تتقون * قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون * سيقولون لله قل فأنى تسحرون) وهذا فرعون مع علوه في كفره ودعواه أقبح دعوى ونطقه بالكلمة الشنعاء يقول الله في حقه حاكيا عن موسى عليه السلام (لقد علمت ما أنزل هؤلاء الا ربُّ السموات والارض بصائر) وقال إبليس (اني أخاف الله رب العالمين) وقال (رب بما أغويتني) وقال (رب أنظرني) وكل مشرك مقر بأن الله خالقه خالق السموات الارض وربهن ورب مافيهما ورازقهم ، ولهذا احتج عليهم الرسل بقولهم (أفمن يخلق كمن لا يخلق) وبقولهم (ان الذين تدعون من دون الله لن

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له) والمشركون مقرون بذلك لا ينكرون

﴿ الاصل الخامس ﴾ ان العبادة أقصى باب الخضوع والتذلل ولم تستعمل إلا في الخضوع لله لانه مولي أعظم النعم وكان [1] حقيقا بأقصى غاية الخضوع كما في الكشاف. ثم ان رأس العبادة وأساسها التوحيد لله الذي تفيده كلمته التي إليها دعت جميع الرسل وهو قول لا إله الا الله والمراد اعتقاد معناها لا مجرد قولها باللسان، ومعناها افراد الله بالعبادة والالهية ، والنفي والبراءة من كل معبود دونه، وقد علم الكفار هذا المعنى لانهم أهل اللسان العربي فقالوا (أجعل الآلهة إلها واحداً ان هذا لشيء عجاب)

﴿ فصل ﴾ اذا عرفت هذه الاصول فاعلم ان الله تعالى له جعل العبادة له أنواعا (اعتقادية) وهي أساسها وذلك أن يعتقد انه الرب الواحد الاحد الذي له الخلق والامر، و بيده النفع والضر ، وانه الذي لا شريك له ولا يشفع عنده أحد لا باذنه ، وانه لا معبود بحق غيره، وغير ذلك مما يجب من لوازم الالهية (ومنها اللفظية) وهي النطق بكلمة التوحيد فمن اعتقد ما ذكر ولم ينطق بها لم يحقن دمه ولا ماله وكان كابليس فانه يعتقد التوحيد بل ويقر به كما أسلفناه عنه إلا انه لم يمتثل أمر الله فكفر ومن نطق ولم يعتقد حقن ماله ودمه وحسابه الى الله وحكمه حكم المنافقين (و بدنية) كالقيام والركوع والسجود في الصلاة (ومنها) الصوم وأفعال الحج والطواف (ومالية) كاخراج جزء من المال امتثالا لما أمر الله تعالى به . وأنواع الواجبات والمندوبات في الاموال والابدان والافعال والاقوال كثيرة لكن هذه أماتها

واذا تقررت هذه الامور فاعلم ان الله تعالى بعث الانبياء عليهم السلام من أولهم الى آخرهم يدعون العباد الى إفراد الله تعالى بالعبادة لا الى إثبات أنه خلقهم ونحوه [2] اذهم مقرون بذلك كما قررناه وكررناه ولذا قالوا (أجئتنا لنعبد الله وحده؟) أي لنفرده بالعبادة ويختص بها من دون الاوثان ، فلم ينكروا الا طلب الرسل منهم إفراد العبادة لله ولم ينكروا الله تعالى ولا انه لا يعبد بل أقروا بأنه يعبد وأنكروا

(١) المنار: الظاهر أن يقال فكان (٢) أي فقط فانه تحصيل حاصل

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قال تعالى (فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون) أي وأنتم تعلمون انه لا ندله . وكانوا يقولون في تلبيتهم للحج : لبيك لا شريك لك ، الا شريكا هو لك ، تملكه وما ملك : وكان يسمعهم النبي صلى الله عليه وسلم عند قولهم لا شريك لك ويقول : قد أفردوه جل جلاله لو تركوا قولهم الا شريكا هو لك . فنفس شركهم بالله تعالى اقرار به تعالى قال تعالى (أين شركائي الذين كنتم تزعمون) أدعوا شركاءكم من دون الله — قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون) فنفس اتخاذ الشركاء اقرار بالله تعالى ولم يعبدوا الاصنام بالخضوع لهم والتقرب بالنذور والنحر لهم الا لاعتقادهم انها تقربهم من الله زلفى وتشفع لهم لديه فأرسل الله الرسل تأمر بترك عبادة كل ماسواه وان هذا الاعتقاد الذي يعتقدونه في الانداد باطل والتقرب اليهم باطل وان ذلك لا يكون الا لله وحده وهذا هو توحيد العبادة وقد كانوا مقرين كما عرفت في الاصل الرابع بتوحيد الربوبية وهو ان الله هو الخالق وحده ، والرازق وحده ، ومن هذا تعرف ان التوحيد الذي دعتهم اليه الرسل من أولهم — وهو نوح عليه السلام — الى آخرهم — وهو محمد صلى الله عليه وسلم — هو توحيد العبادة ولذا تقول لهم الرسل (ألا تعبدوا الا الله — اعبدوا الله مالكم من إله غيره) وقد كان المشركون منهم من يعبد الملائكة ويناديهم عند الشدائد ، ومنهم من يعبد أحجارا [1] ويهتف بها عند الشدائد ، فبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم يدعوهم الى الله وحده بأن يفردوه بالعبادة كما أفردوه بالربوبية أي بربوبية السموات والارض ، وأن يفردوه بكلمة « لا إله إلا الله » معتقدين معناها عاملين بمقتضاها ، وأن لا يدعوا مع الله أحدا . وقال تعالى (له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء) وقال تعالى وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين) أي من شرط الصدق بالله أن لا يتوكلوا الا

---

(١) المنار: الاحجار لم تعبد لذاتها وانما كانت تماثيل لبعض الصالحين ومذكرات بهم أو منسوبة اليهم كأحد أعمدة الرخام في المسجد الحسيني بمصر يتمسح به للبركة والاستشفاء لانه منسوب الى السيد البدوي فهو يعرف بعمود السيد

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عليه وان يفردوه بالتوكل كما يجب أن يفردوه بالدعاء والاستغفار، وأمر الله عباده أن يقولوا (اياك نعبد) ولا يصدق قائل هذا الا اذا أفرد العبادة لله تعالى والا كان كاذبا منهيا عن ان يقول هذه الكلمة اذ معناها نخصك بالعبادة ونفردك بها وهو معنى قوله (فاياي فاعبدون — وإياى فاتقون) كما عرف من علم البيان ان تقديم ماحقه التأخير يفيد الحصر أي لاتعبدوا الا الله، ولا تعبدوا غيره، ولا تتقوا غيره (*) كما في الكشاف، فافراد الله تعالى بتوحيد العبادة لا يتم الا بان يكون الدعاء كله له والنداء في الشدائد والرخاء لا يكون الا لله وحده، والاستعانة بالله وحده واللجأ الى الله والنذر والنحر له تعالى، وجميع أنواع العبادات من الخضوع والقيام تذللا لله تعالى والركوع والسجود والطواف والتجرد عن الثياب والحلق والتقصير كله لا يكون الا لله عز وجل، ومن فعل ذلك لمخلوق حيّ أو ميت أو جماد أو غيره فهذا شرك في العبادة وصار من تفعل له هذه الامور الها لعابديه سواء كان ملكا أو نبيا أو وليا أو شجراً أو قبراً أو جنيا أو حيا أو ميتا وصار بهذه العبادة أو بأي نوع منها عابداً لذلك المخلوق وان أقر بالله وعبده، فان اقرار المشركين بالله وتقربهم اليه لم يخرجهم عن الشرك وعن وجوب سفك دمائهم وسبي ذراريهم ونهب أموالهم قال[1] الله تعالى «أنا أغنى الشركاء عن الشرك لا يقبل الله عملا شورك فيه غيره ولا يؤمن به من عبد معه غيره

﴿ فصل ﴾ إذا تقرر عندك أن المشركين لم ينفعهم الاقرار بالله مع اشراكهم في العبادة ولا يغني عنهم من الله شيئا وأن عبادتهم هي اعتقادهم فيهم أنهم يضرون وينفعون وانهم يقربونهم الى الله زلفى وأنهم يشفعون لهم عند الله تعالى فنحروا

(*) المنار: الحصر جامع بين الاثبات والنفي والمعنى اعبدوا الله ولا تعبدوا غيره واتقوه ولا تتقوا غيره فايراد صيغتي النفي إما تحريف من النساخ وهو الارجح وإما سبق قلم من المؤلف.

(١) قوله قال الله تعالى أى في الحديث القدسي ولفظه (قال رسول الله (ص) يقول الله تعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك معي فيه غيري تركته وشركه) رواه مسلم كتبه محمد محمد فاضل

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لهم النحائر وطافوا بهم ونذروا النذور عليهم وقاموا متذللين متواضعين في خدمتهم وسجدوا لهم ومع هذا كله فهم مقرون لله بالربوبية وأنه الخالق ولكنهم كما أشركوا في عبادته جعلهم مشركين ولم يعتد باقرارهم هذا لانه ناقاه فعلهم فلم ينفعهم الاقرار بتوحيد الربوبية. فمن شأن من أقر لله تعالى بتوحيد الربوبية أن يفرده بتوحيد العبادة فاذا لم يفعل ذلك فالاقرار الاول باطل، وقد عرفوا وهم في طبقات النار وقالوا (تالله إن كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين) مع انهم لم يسووهم به من كل وجه ولا جعلوهم خالقين ولا رازقين لكنهم علموا وهم في قعر جهنم أن خلطهم الاقرار بذرة من ذرات الاشراك في توحيد العبادة صيرهم كمن سوى بين الاصنام، وبين رب الانام، قال الله تعالى (وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون) أي ما يقر أكثرهم في اقراره بالله و بأنه خالقه وخالق السموات والارض الا وهو مشرك بعبادة الاوثان[1] بل سمى الله الرياء في الطاعات شركا مع أن فاعل الطاعة ما قصد بها الا الله تعالى وانما أراد طلب المنزلة بالطاعة في قلوب الناس فالمرائي عبد الله لا غيره لكنه خلط عبادته بطلب المنزلة في قلوب الناس فلم تقبل له عبادة وسماها شركا كما أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يقول الله تعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا وأشرك فيه معي غيري تركته وشركه) بل سمى الله التسمية بعبد الحارث شركا كما قال تعالى (فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما) فانه أخرج الامام أحمد والترمذي من حديث سمرة أنه قال صلى الله عليه وسلم « لما حملت حواء وكان لا يعيش لها ولد — طاف بها ابليس وقال : لا يعيش لك ولد حتى تسميه عبد الحارث فسمته فعاش وكان ذلك من وحي الشيطان وأمره فأنزل الله الآيات. وسمى هذه التسمية شركا وكان ابليس تسمى بالحارث » والقصة في الدر المنثور وغيره[2]

﴿ فصل ﴾ قد عرفت من هذا كله أن من اعتقد في شجر أو حجر أو قبر

(١) المنار: أي بعبادة غيره تعالى معه اذ لا فرق بين الاوثان وغيرها في ذلك

(٢) الحديث معلول من وجوه كما بينه ابن كثير في تفسيره ولكن المعنى الذي قصده المؤلف صحيح

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أو ملك أو جني أو حي أو ميت أنه ينفع أو يضر أو أنه يقرب الى الله أو يشفع عنده في حاجة من حوائج الدنيا بمجرد التشفع به والتوسل الى الرب تعالى — الا ماورد في حديث فيه مقال في حق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أو نحو ذلك[1] فانه قد أشرك مع الله غيره واعتقد مالا يحل اعتقاده كما اعتقد المشركون في الاوثان فضلا عمن يندر بماله وولده لميت أو حي أو يطلب من ذلك مالا يطلب الا من الله تعالى من الحاجات من عافية مريضه أو قدوم غائبه أو نيله لاي مطلب من المطالب فان هذا هو الشرك بعينه الذي كان عليه عباد الاصنام. والنذور بالمال على الميت ونحوه والنحر على القبر والتوسل به وطلب الحاجات منه هو بعينه الذي كان تفعله الجاهلية وانما يفعلونه لما يسمونه وثنا وصنما وفعله القبوريون لما يسمونه وليا وقبراً ومشهداً. والاسماء لا أثر لها ولا تغير المعاني — ضرورة لغوية وعقلية وشرعية، فان من شرب الخمر وسماها ماء ماشرب الا خمراً وعقابه عقاب شارب، الخمر ولعله يزيد عقابه للتدليس والكذب في التسمية: وقد ثبت في الاحاديث أنه يأتي قوم يشربون الخمر يسمونها بغير اسمها وصدق صلى الله عليه وسلم فانه قد أتى طوائف من الفسقة يشربون الخمر ويسمونها نبيذاً وأول من سمى مافيه غضب الله وعصيانه بالاسماء المحبوبة عند السامعين ابليس لعنه الله فانه قال لابي البشر آدم عليه السلام (يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى) فسمى الشجرة التي نهى الله تعالى آدم عن قربانها شجرة الخلد جذبا لطبعه اليها، وهزاً لنشاطه الى قربانها، وتدليسا عليه بالاسم الذي اخترعه لها، كما يسمي اخوانه المقلدون الحشيشة بلقمة الراحة وكما يسمي الظلمة ما يقبضونه من أموال عباد الله ظلما وعدوانا أدبا فيقولون أدب القتل: أدب السرقة: أدب التهمة بتحريف اسم الظلم الى اسم الادب كما يحرفونه في بعض المقبوضات الى اسم النفاعة وفي بعضها الى اسم السياقة وفي بعضها أدب المكاييل والموازين. وكل ذلك اسمه عند الله ظلم وعدوان كما يعرفه من شم رائحة

---

(١) المراد حديث توسل الاعمى والرواية القوية ليس فيها مايخل بالتوحيد كما بينه شيخ الاسلام في كتاب التوسل والوسيلة وهو كتاب لا يستغني عن قراءته أو سماعه مسلم في هذا العصر

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الكتاب والسنة، وكل ذلك مأخوذ عن ابليس حيث سمي الشجرة المنهي عنها شجرة الخلد

وكذلك تسمية القبر مشهداً ومن يعتقدون فيه ولياً لا يخرجه[1] عن اسم الصنم والوثن اذ هم معاملون لها[2] معاملة المشركين للاصنام، ويطوفون بهم طواف الحجاج ببيت الله الحرام، ويستلمونهم استلامهم لاركان البيت، ويخاطبون الميت بالكلمات الكفرية من قولهم على الله وعليك ويهتفون بأسمائهم عند الشدائد ونحوها، وكل قوم لهم رجل ينادونه فأهل العراق والهند يدعون عبد القادر الجيلي وأهل التهائم لهم في كل بلد ميت يهتفون باسمه يقولون يازيلعي يا ابن العجيل، وأهل مكة وأهل الطائف: يا ابن العباس وأهل مصر يا رفاعي — يابدوي — والسادة البكرية: وأهل الجبال يا أبا طير: وأهل اليمن يا ابن علوان. وفي كل قرية أموات يهتفون بهم وينادونهم ويرجونهم لجلب الخير ودفع الضر وهو[3] بعينه فعل المشركين في الاصنام كما قلنا في الابيات النجدية

أعادوا بها معنى سواع ومثله يغوث وود ليس ذلك من ودي
وقد هتفوا عند الشدائد باسمها كما يهتف المضطر بالصمد الفرد
ولم نحروا في سوحها من نحيرة أهلت لغير الله جهلا على عمد
وكم طائف حول القبور مقبلا ويلتمس الاركان منهن بالايدي

فان قال انما نحرت لله وذكرت اسم الله عليه فقل ان كان النحر لله فلأي شئ قربت ما تنحره من باب مشهد من تفضله وتعتقد فيه؟ هل أردت بذلك تعظيمه؟ ان[4] قال نعم فقل له هذا النحر لغير الله بل أشركت مع الله تعالى غيره، وان لم ترد تعظيمه فهل أردت توسيخ باب المشهد وتنجيس الداخلين اليه؟ أنت تعلم يقيناً انك ما أردت ذلك أصلا ولا أردت الا الاول ولا خرجت من بيتك الا لقصده، ثم كذلك دعاؤهم له فهذا الذي عليه هؤلاء شرك بلاريب (لها بقية)

(١) وفي نسخة: وهذا لايخرجه (٢) وفي نسخة: بها. هذا وان القرآن قد يخبر عن تلك المعبودات بالاولياء ونهى عن اتخاذ الاولياء من دونه. (٣) وفي نسخة: وهذا بعينه (٣) بئس ذلك (٤) أم لا فان قال

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الخلافة الاسلامية

ألفه باللغة الاوردية
أحد زعماء النهضة الهندية
مولانا ابو الكلام
محي الدين آزاد
صاحب مجلة الهلال الهندية

وترجمه بالعربية
أحد تلاميذ دار الدعوة والارشاد
الشيخ عبد الرزاق
المليح آبادي
محرر جريدة (بيغام) الهندية

٤
فصل

﴿ شرح حديث الحارث الاشعري ﴾

أما طاعة الخليفة في السنة ، فقد تضافرت الاحاديث الصحيحة في وجوبها واشتهرت اشتهارا عظيما حتى أنه لم يصل حكم بعد عقيدة التوحيد والرسالة الى هذه الشهرة والتواتر .

وها أنا ذا ذاكر ههنا أولا حديثا من مسند الامام أحمد وسنن الترمذي يوضح نظام الاسلام الاجتماعي توضيحا حسنا ، . فأقول :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنا آمركم بخمس ، الله أمرني بهن : الجماعة ، والسمع ، والطاعة ، والهجرة ، والجهاد في سبيل الله — فانه من خرج من الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه الا أن يراجع — ومن دعا بدعوى جاهلية فهو من جثى جهنم — قالوا يارسول الله ! وان صام وصلى ؟ قال وان صلى وصام وزعم أنه مسلم » أخرجه الترمذي وأحمد والحاكم من حديث الحارث الاشعري على شرط الصحيحين ، قال ابن كثير هذا حديث حسن وله شواهد

فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بخمس :

أولهن « الجماعة » أي يجب على الامة أن تجتمع على الامام وتعيش مرتبطة بمركزها الاجتماعي ، وسترى كثيرا من الاحاديث التي تحذر من الوحدة والفرقة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وتعدها حياة جاهلية شيطانية ، اذ الاسلام لا يحسب الحياة الفردية حياة ، وإنما الحياة عنده « الحياة الاجتماعية »

ما « الجماعة » ؟ كتلة من الآحاد ، تربط بعضهم ببعض رابطة « الاتحاد » و « الائتلاف » ويكون فيهم « الامتزاج و « النظام »

هاتيكم الجماعة ولوازمها الاربعة : الاتحاد والائتلاف والامتزاج والنظام

أما « الاتحاد » فهو أن يكون الافراد متصلا بعضهم ببعض ، فلا عوامل التفرقة تفرقهم ولا التشتت يبددهم ، بل يكونوا جميعا متقاربين ، وأن تكون أعمالهم كذلك متوافقة غير متخالفة ، وجهتها واحدة وغايتها واحدة

وأما « الائتلاف » فهو أخص من « الاتحاد » اذ الاتحاد مجرد الاتصال ، و « الائتلاف » هو الاجتماع والاتصال بتناسب صحيح وترتيب حسن ، فيقدم فيه ما حقه أن يقدم ، ويؤخر فيه ما حقه أن يؤخر ، ويوضع الفرد في الجماعة بالمكان الذي يؤهله له استعداده وقوته ، فلا يستخدم في الشرطة من هو أهل للسيادة والقيادة ، ولا يرفع — الى رياسة السياسة — من لا يصلح الا للشرطية

وأما « الامتزاج » فهو أخص منهما ، ويراعى فيه اتحاد الكيف أكثر من اتحاد الكم — أي ينظر في طبائع الافراد حيث استعدادهم الاجتماعي ، فيلحق كل واحد بالذي يكون أكثر موافقة لطبعه ليتحدا تمام الاتحاد ، اذ لو لم يراع ذلك لا يتأتى الاتحاد بين أفراد مختلفة الامزجة والطبائع ، كما لا يتحد الزيت والماء — وإن الله سبحانه كما خلق العناصر ليتكون باجتماعها المناسب مركب مخصوص ، كذلك خلق الافراد ليكونوا باجتماعهم « جماعة » فالافراد « عناصر » والجماعة « مركب » وكما أن العناصر لا تكون « مركبا » الا اذا امتزجت امتزاجا تاما ، كذلك الافراد لا تكون « جماعة » الا بهذا « الامتزاج » — فاذن يجب أن يمتزج الافراد بعضهم ببعض ويفنوا وجودهم في سبيل تكوين الجماعة بحيث يحسبهم من يراهم شيئا واحدا ، ولا يكون ذلك الا بعد الامتزاج التام

وأما « النظام » فهو ان يحل كل فرد في الجماعة محله ، يدور في دائرته ويسعى في داخل حدوده ويعمل عمله الاجتماعي فيه

ولا تتحقق هذه الامور اذا لم تكن قوة مسيطرة على الاجتماع ، ويدة مدبرة للجماعة ، فتوحد الآحاد المنتشرة وتؤلف بينهم وتمزج بعضهم ببعض

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وتخرطهم في نظام الجماعة — فلا بد إذاً من «امام وخليفة» ولا مفر للافراد من طاعته والخضوع ، اذا كانوا يريدون ان يحيوا حياة اجتماعية طيبة — فمقام الامام أو الخليفة في الهيئة الاجتماعية مقام النقطة من الدائرة ، وعماله بمنزلة الدائرة نفسها ، فآحاد الامة يدورون حول هذه الدائرة ، وهي تدور حول تلك النقطة — وبهذه الصورة تتكون من اجتماع الافراد ، « الجماعة » ويصيرون كتلة واحدة وجسما واحدا حيا ، اذا اشتكي منه عضو تداعى له سائر الجسد — وبهذا أمر المسلمون ومنعوا من الوحدة والفرقة وأوجب عليهم أن لا يعيشوا بدون إمام ، سواء كثروا أم قلوا ، حتى لو كانوا ثلاثة وجب عليهم أن يؤمروا أحدهم لقوله صلعم «اذا كان ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم»

وقد جعل الله سبحانه صلاة الجماعة — التي هي عماد الدين ومثال كامل للعقائد والاعمال — نموذجا ليهتدي بها المسلمون الى تنظيم حياتهم الاجتماعية فانظر كيف يجتمع مئات وألوف أوطانهم متنائية ، وجهاتهم متباعدة ، وألوانهم متغايرة ، وألبستهم متخالفة ، فبينما هم في هذه الحالة ، اذ تقرع سمعهم التكبيرة فيتحول الانتشار الى الاجتماع والتفرق الى الائتلاف ، فهم وقوف في صف واحد ، أجسامهم متلامسة ، أكتافهم متلاصقة ، أقدامهم متقاربة ، ووجوههم متوجهة الى جهة واحدة ، اذا كانوا قياما ، فكلهم قيام . كأنهم بنيان مرصوص ، واذا كانوا قعودا فكلهم قعود ، باطنهم كظاهرهم متحد ومؤتلف ، قلوبهم بذكر واحد مشغولة ، وألسنتهم للفظ واحد مرددة . ثم انظر أمامهم فلا ترى هنالك الا رجلا واحدا يؤمهم ويقودهم ، متى شاء أقامهم ، ومتى شاء أقعدهم ، كلهم طوع أمره وسماعون لكلمته ، لا يخالفونه ولا ينازعونه ، بل يتبعونه ويقتدون به ويطيعون له [1]

هذه هي « الجماعة » التي يطالب بها الاسلام ، ويأمر المسلمين أن يجعلوا هيئتهم الاجتماعية على أسلوبها لا كما يزدحم الهمج في الاسواق —

هذا وكل ما ذكرناه من أوصاف الجماعة وخصائصها مأخوذه من الكتاب والسنة ، وقد أغفلنا ذكر الشواهد عمداً لضيق المقام وعدم الحاجة اليها

(١) المنار: وظاهر ان هذا الاتباع يتقيد بالامام كالمأموم بنصوص الشرع فمشيئته فيه لاقامة المأمومين وافعالهم ليست مطلقة فاذا خرج عن الشرع فارقوه وأدبوه ، وكذلك الامام الاعظم وهو الخليفة وقد أشار الكاتب الى ذلك في الكلام على الطاعة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(٢) ثانيهن «السمع» وهو أن تستمع الامة أوامر الامام وتستهدي به، وكلمة «السمع» توضح أن مقام الامام في الامة مقام المعلم والمرشد — فعليها أن تتلقى أوامره بالقبول وتسترشد به في مهماتها —

(٣) ثالثهن «الطاعة» وهي أن يطاع الامام طاعة تامة، ويفوض اليه جميع القوى العاملة تفويضا كليا[1] ويعمل كل فرد من الامة بأمره بدون أدنى عذر ولا ضجر. ومعلوم أن الطاعة في المعروف لا في المنكر

(٤) رابعهن «الهجرة» وهي من «الهجر» ومعناه «الترك» ففي المفردات «الهجر والهجران مفارقة الانسان غيره، اما بالبدن أو باللسان أو بالقلب. والمهاجرة مصارمة الغير ومتاركته» (صفحة ٥٥٨) وأما في الشريعة فهي أن يترك رجل أو جماعة الملاذ الدنيوية والرغائب النفسية في سبيل الحق والسعادة[2] فمثلا اذا ترك أحد لفرض سام وقصد عال ماله وراحته وأهله وأقاربه وعشيرته وبيته ووطنه، يسمى عمله هذا في الشريعة «الهجرة الى الله والذهاب الى الله» وقد غلب استعمال «الهجرة» في ترك الوطن، لان تركه يستلزم ترك المال والاهل والاصدقاء وكل ما يحب ويؤلف في الوطن. ولذا اذا أطلقت يكون معناها ترك الوطن، واذا أضيفت الى شيء يفهم معناها حسب الاضافة، قال النبي صلعم «وإنما لكل امرىء ما نوى، فمن كانت هجرته الى الله ورسوله، فهجرته الى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه (البخاري عن عمر رض) فالهجرة أنواع وأقسام تجدها مبينة في الكتاب والسنة وليس هنا محل تفصيلها

(٥) خامسهن «الجهاد في سبيل الله» وهو من «الجهد» ومعناه «استفراغ الوسع في مدافعة العدو ظاهرا أو باطنا» (مفردات) فالجهاد هو السعي البليغ

---

(١) المنار: الحق ان الخليفة مقيد في الاسلام بمشاورة أهل الحل والعقد كما انه مقيد بالشرع، فتفويضه ليس مطلقا

(٢) الهجرة الشرعية هي ترك دار الكفر الى دار الاسلام وكذا كل مكان لا تستطيع فيه ان يقيم دينه بحرية وليس هو المعنى الشرعي الاصلي ويحتجون له بحديث «والمهاجر من هجر السوء» وهو وصف للمهاجر الكامل كحديث «المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه» فان لم يهجر السوء لا يكون صادقا في هجره وطنه لاجل الحق الذي رضي الله تعالى كما يؤخذ من حديث النية

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لدفع الاعداء والذود عن الامة ، ويكون باللسان والمال والنفس ، فكل مايبذله الرجل في سبيل الله حسب الحاجة والضرورة فهو جهاد في سبيل الله كما قال النبي صلى الله عليه «جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم » (رواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن حبان عن أنس رضي الله عنه)

ولسنا في حاجة الى أن نثبت أن على هذه الخمسة تتوقف حياة الامم وقيامها وبقاؤها ، اذ كل من له ذرة من العقل يعلم حق العلم أنه لا تستطيع امة أن تفوز في معترك الحياة بدونها أو تنجح في أعمالها صغيرة كانت أو كبيرة بغيرها ، فسواء عليها أن تسعى لحصول خبز من البر ، أو تذهب لكشف القطب الشمالي ، فهي على كل حال تحتاج الى هذه الاصول الخمسة ، والتي تعرض عنها تخسر ثم تسقط حتما ، وان كل ما نراه الآن في هذه المعمورة العظيمة من الحضارة والرقي والصناعة ، نتيجة لهذه الخمسة : الجماعة ، والسمع ، والطاعة ، والهجرة ، والجهاد

ان النزاع والخلاف الذي ملأ الخافقين ، انما هو ناتج عن شيء واحد ، وهو تعدد الاسماء لمسمى واحد ، وكثرة المصطلحات لحقيقة واحدة ، فانك ان دققت النظر في جدال الناس ، ترى معظمهم متشاجرين في الاسماء والالفاظ والمصطلحات ، مع أنهم لو جردوا الحقيقة عن الظواهر لعلموا أنها واحدة ، وعند الجميع سواء ، لكنهم لسوء الحظ لا يفعلون ذلك فيتخبطون طول عمرهم في تيهاء الالفاظ والمصطلحات ويتناطحون عليها

وقد كثر مثل هذا النزاع في العلوم والمعارف ، والموفق من لا تخدعه الظواهر ، فلا يرى الحقيقة بمنظاره الخاص المصنوع من الالفاظ والمصطلحات ، بل يراها مجردة كما هي — وهذا المقام مقام الرسوخ في العلم ويسميه الشيخ احمد ولي الله صاحب « حجة الله البالغة » « بعلم الجمع بين المختلفات » وعامة أصحاب السلوك والاشارات يسمونه « بمشهد الوحدة » ويقصدون به نفس هذا المقام الذي يصله السالك بعد زوال الحجب والاستار عن عينيه

فاذا بحثت بعد هذا ، تعلم أن الجماعة والسمع والطاعة والهجرة والجهاد — من تلك الحقائق العامة المسلمة التي لا ينكرها أحد من البشر — والامم بأجمعها سائرة عليها من أول خلقها ومتمسكة بها أشد التمسك — وانما النزاع فيها والانكار عليها جاء من تلك البلية التي ذكرناها آنفا ، أي التشبث بالاسماء والمصطلحات . فلاجل هذا أنكرها كثير من الناس لاسمائها الاسلامية ، ولكنهم يقبلونها

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ويعللون بها بغير هذه الاسباب. والذي يرد هذه الحقائق نفسها يحرم من الحياة، ولا يرى في دنياه الا الخيبة والخسران

وها أنا ذا أسوقها اليك واحدة واحدة مع بيان وجيز لتفهم ما يرجى الفهم، فانظر الى أولها، وهي «الجماعة» التي علمت معناها وخصائصها، فقل أي شيء يتم بدون الجماعة والاجتماع؟ دع ما قالت فيها الفلاسفة والحكماء فانه دقيق يخفى على كثير من الناس، وألق عليها نظرة عامة ترى أن الغرض من البيئات والاحزاب والجمعيات المنتديات والمجالس والمحافل والبرلمان، بل من الامة والوطن والجيش «الجماعة، والتزام الجماعة» أيمكن لاحد أن يستغني عن الجماعة؟ حتى ان أولئك الذين يعيشون في الغابات عراة متوحشين يضطرون الى الاجتماع اذا أهمهم أمر، أو وقع فيهم شقاق؟ يجتمعون للبحث في شؤونهم واصلاح ذات بينهم، ولو تحت شجرة على التراب — فتلك «الجماعة»

ولكن ماذا تغني الجماعة اذا لم يوجد من يرأسها ويرشدها؟ ولذا اذا اجتمع بضع رجال لامر جامع بينهم، تبادروا الى انتخاب الرئيس وقالوا اذا لم يرأس الجلسة أحد لا تكون قانونية ونظامية، وكذلك اذا أرادوا تنظيم جيش قسموه فرقا من الف ومائة وعشرة، وجعلوا على كل منها رؤساء (اي تابعين لرئيس واحد وهو القائد العام) وقالوا بدون هذا لا يكون الجيش جيشا، ولا يستطيع أن يعمل عملا، فاذا كان قولهم هذا عن جماعة من عشرة او خمسة، فماذا يقال عن أمة مكونة من ألوف وملايين من الرجال والنساء أفلا تحتاج الى قائد يقودها ورئيس يرأسها؟ وهل تقدر على عمل اجتماعي بدون الامير؟ ثم أي فائدة من الامير اذا لم يطع؟ خذ لذلك أقرب مثال اليك وهو بيتك الذي تسكنه مع زوجتك وولدك — فان عصت الزوجة أمرك وتنمرت عليك أولادك. أفلا تغضب عليهم وتقول والناس معك هذا بيت لا يفلح أهله أبدا، لانه لا نظام فيه ولا راحة، بل هو مبتلى بحرب أهلية! وهل هذا الذي تقول غير «الجماعة: والسمع والطاعة» ؟ فكما أن هذا البيت لا يفلح، كذلك لا تفلح الامة التي لا جماعة فيها ولا سمع ولا طاعة» —

وأما «الهجرة» فينفر منها كثير من الناس، لانهم يحسبونها من بقايا ذلك العهد الذي كان فيه الانسان في جهل ووحشية وهمجية ومصابا بالجنون الديني — فكان يهلك نفسه ويقتل عواطفه ويترك راحته لاجل الدين — ولكنهم ينسون أن ما يفرون منه، تدعو اليه البشر مدنيتهم أيضا، وانك

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قد علمت معنى « الهجرة » وهو أن يؤثر الانسان المقاصد العليا الدنيا - وأن اضطر في هذه السبيل الى هجران أهله وماله ووطنه وأمته وملاذه هجرها فرحا مطمئناً ، فقل أي نجاح يصادفه الانسان في العلم والعمل إن لم يكن صدره مملوءاً بهذه العاطفة العالية ؟ وما هذا التقدم المدني والعلمي ، وما هذه الاختراعات العجيبة والاكتشافات المدهشة ، والاموال الكثيرة ، والتجارة الواسعة ، والمستعمرات العظيمة ، ووسائل المعيشة المتنوعة ، ورقي البلاد ، وعلو الامم ، وسعة المدنية ؟ أليست نتائج « الهجرة » وثمراتها ؟ وذلك لان الانسان - أفراده وجماعاته - لو لم يؤثر المقاصد العالية والعزائم الكبيرة على راحته وأهله ووطنه ولم يهجر كل شيء في سبيلها لما رأينا اليوم ما نراه في الدنيا ، بل لرأينا الجهل مقام العلم ، والوحشية مقام المدنية ، والخراب مقام العمران - وما قولك في علم الطب وتقويم البلدان وعلم الحياة الانساني ؟ أكان يمكن أن تصل هذه العلوم الى ما وصلت اليه ، لولم يهاجر كثير من البشر في سبيلها ، لاجل معرفة تفاصيلها واستقراء جزئياتها ؟ لولم يهاجر كولمبوس لما علمنا عن نصف الدنيا شيئاً ، ولولم يهاجر الغربيون لما شاهدنا في واشنطون ونيويورك المباني الفخمة والقصور العالية ، ولولم تهاجر الامم الاوربية لما أصبحت أغنى الامم - عجباً ! اذرأوا المهاجرين زرافات ووحدانا يقصدون الى منطقة القطب الشمالي قالوا هؤلاء عظماء الرجال حقاً كل العلم فيهم ، وحلت الوطنية الصادقة في قلوبهم - ثم اذا علموا أنهم هلكوا على بكرة أبيهم دون أن ينالوا بغيتهم ، أقاموا عليهم المآتم ورثوهم وبكوا عليهم وقالوا مات النجباء ! ولكن اذا سمعوا الشريعة الالهية تسمى مثل هذا العمل « بالهجرة » وتدعو الناس اليه - نفروا منه وأنكروا واسودت وجوههم - تراهم يمجدون أولئك الرجال الذين هجروا أوطانهم لكشف منبع النيل وهلكوا في مجاهيل أفريقية ، ولكن اذا علموا برجال هاجروا في سبيل الحق واعلاء كلمة الله ، ذموهم أشد الذم وسموهم « مجانين وهمجاً » ثم اذا رأوا نيوتن يهجر نومه ويسهر الليالي الطويلة ليحقق « ناموس الثقل » أعظموه وسموه بأسماء كريمة ، ولكن إن رأوا رجلا يجهد نفسه مثل نيوتن لاثبات ناموس الشغل بل لناموس نجاة العالم وسعادته وهدايته أنكروا عليه عمله وعدوه من الوحوش ! فما هذا الجنون ؟ وما هذا التناقض يا ترى ؟

نرى اليوم الامم الغربية تعتقد أن فلاحها وحياتها في الاستعمار (كانونيل سستم)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وتتصادم وتتناطح ويهلك بعضها بعضا لاجل المستعمرات — ولكن ما الاستعمار؟ أليس الغرض منه ترك الوطن والهجرة من أرض الى أخرى وتعميرها واستجلاب الثروة منها، وتكثير غنى الامة بها؟ فما رأيك بعد هذا؟ أليست الدنيا كلها متمسكة بنظام «الجماعة والسمع والطاعة والهجرة؟ نعم هي متمسكة بها الا أنها لا تسميها بأسمائها الاسلامية!

وأما «الجهاد» فما اكثر استفظاع بعض الناس له، وما أشد انكارهم عليه! اذا سمعوه جعلوا أصابعهم في آذانهم واضطربوا منه اضطرابا شديدا، وقالوا الاسلام يستحل الدماء البريئة، ويدعو البشر الى القساوة والبربرية، والمجزرة الانسانية، فهو دين وحشية وهمجية — ولكن ما أشد استماعهم لقول دارون ورسل وويلس «ان من الحقائق الثابتة «ناموس تنازع البقاء» «وناموس انتخاب الطبيعة» «وناموس بقاء الاصلح» فاذا سمعوا هذه الكلمات اصغوا اليها هادئين، ساكنين، وآمنوا بها مصدقين، موقنين، ولم يشمئزوا من هذه النواميس القتالة والداعية الى سفك الدماء، بل قالوا انها كلها حق، ومؤيدة بالبراهين القوية، والمشاهد العينية، لانا نرى الحياة كلها عراكا ومزاحمة، الانسان وما دونه من الاحياء كله يزاحم معارضه في الحياة ويدافع غيره ويهلكه ويحل محله، وهذا طبيعي، ولا بقاء لحي بدونه! ثم اذا أخبرهم بأن النواميس التي يخضع لها سائر الموجودات يخضع لها الجنس البشري، وأن الامة التي تثبت أنها أصلح للقيام بالحق والهداية، تعيش وتحيا، والامة الفاسدة وغير الصالحة تهلك وتفنى! وتحل محلها الاولى «ليظهره على الدين كله» لم يقبلوا هذا وتولوا عنه مدبرين، ولو رجعوا الى رشدهم لضحكوا على أنفسهم اذ الذي يردونه باسم «الجهاد»[1] يقبلونه بأسماء أخرى ناقصة الدلالة على مسماها! والله يهدي من يشاء الى سواء السبيل!

(١) المنار: أوجز الكاتب واختصر في بيان هذه المسألة وأسهب فيما عداها وأطنب. صواب القول في الجهاد الاسلامي أنه بذل الجهد في حفظ الحق ودفع الباطل، لتقرير المصالح وازالة المفاسد، وأما الجهاد العام، غير المقيد بهداية الاسلام فهو بذل الجهد من كل حي لحفظ حياته ومنافعه شخصا كان أو جماعة بالحق أو بالباطل، ولكن قصروا في بيان حقيقة الاسلام حتى لاهله، وأعداءهم جدوا وثمروا في تصويره بضد حقيقته فنفروا منه حتى الكثير من اللابسين لباسه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كوارث سورية في سنوات الحرب

من تقتيل وتصييب ومخمصة ونفي

مشاهدات ومجاهدات شاهد عيان ، هو الامير شكيب أرسلان

٣

تشنيع الكاتب على جمال باشا بالاستانة

وما وصلت الى الاستانة حتى بدأت بشرح ماجرى في سورية من أفعال الشدة والقسوة وارهاف الحد وذكرت ذلك في جميع المراكز بدون استثناء ولا يوجد تقريباً واحد من كبار رجال الدولة القدماء أو الجدد إلا وهو يعلم انني كنت منتقداً ادارة جمال في سورية مشدداً النكير على الدولة في ارخائها العنان لهذا الرجل الى هذا الحد . ويصعب عليّ الآن استقصاء شهودي على ذلك سواء من الفئة المعارضة للاتحاديين أو الفئة الموافقة لهم فان ذلك يطول جداً وانما اجتزىء بالاستشهاد بجلالة السلطان وحيد الدين نفسه الذي بقيت بين يديه أكثر من ساعتين أبسط له ماحدث في سورية من الامور وأبين له وجه الظلم والخطأ فيها وكذلك بولي عهد السلطنة الامير عبد المجيد افندي الذي تكلمت معه في هذا الشأن مراراً وكان كل منهما يتنفس الصعداء ويتأوّه ويعد ببذل جهده باصلاح الامور وإيتاء العرب حقوقهم وانصافهم من ظالميهم وذلك عند ماتضع الحرب أوزارها وينتصب الميزان ويبدأ بالحساب . وبقيت في الاستانة من أوائل سنة ١٩١٧ الى نهاية الحرب واستحضرت عائلتي اليها وتحملت نفقات الغربة حتى لا أعود الى سورية وجمال باشا فيها مع انني كنت أصرح امام الجميع انني من جهتي الشخصية لا أقدر أن أشتكي منه بشيء بل يجب عليّ الشكر له لمزيد الرعاية وبالغ العناية اللتين كنت أراهما منه نحوي وانما أشكو بطشه وعنفه وسفكه للدماء وشدة استبداده ومايعود بذلك من الضرر بالدولة وبالجامعة العثمانية

ولما حضرت الى المانيا أولهم مرة سنة ١٩١٧ سميت باقناع الالمان في طلب صرفه عن سورية وكان لهم بذلك يد وأرسلوا الجنرال (فالنكنهاين) قائداً لفلسطين وقطعوا علاقة جمال بالجيش المرابط فيها وما زال نفوذ جمال يقلّ

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ودائرة اختصاصه تضيق الى أن طلب هو الرجوع الى الاستانة وذلك قبل دخول الانكليز بقليل ولما جاء الى الاستانة ووجد التكير عليه عاماً كان كمن استيقظ من منام ، وتبدّل مرارة الحقائق بحلاوة الاحلام ، وربما تذكر ما كنت أنحله إياه من النصيحة وأنهاه به عن الشدة والبطش ولاسيما عن القتل لانه غير قابل التلافي وما شعرت يوماً الا وأحد أصحابي وأصحابه يتكلم معي في الذهاب الى نظارة البحرية للسلام على جمال باشا ويلح جداً بذلك فقلت ليس بيننا أدنى شيء يوجب السفور شخصياً وانما كان السفور منبعثاً عن اختلاف في الرأي وانه كان يرى الشدة ضرورية لحفظ سلامة المملكة وأنا كنت أرى الذي أتاه معجلا في تجرئتها . وذهبت وسلمت عليه وتصالحت معه وعاتبني على حملاتي عليه وقال لي ان رفقاءه كانوا يقولون له إن شكيب أرسلان بك هو أيضاً في مقدمة الناقدين الناقمين وهو ممن لاشك في صدقهم وانه هو كان يجاوبهم نعم انه مخلص ولكنه رقيق القلب ويريد أخذ الامور كلها بالعفو. ودار بيني وبينه جدال طويل أتذكر منه انني قلت له يامولانا عند ما أتيتم بالزهراوي من باريز وجعلتموه في مجلس الاعيان كنت أنا معتقداً هذا العمل ولكن بعد ان عفوتم عنه ومضى على ذلك ثلاث سنين تأخذونه من مجلس الاعيان وتشنقونه : هذا انتقدته أكثر ، لانه خطأ أعظم من الاول ، ثم لا يكفي شنق الزهراوي بتلك الصورة حتى ينتهي الى الاناضول والده البالغ من العمر نحو ٩٠ سنة فكيف تريد أن لا أنتقد هذه الاعمال ؟ وقد دافع عن نفسه ببعض أجوبة لاتخرج عن التدابير العسكرية التي يعملها كل قائد في أثناء الحرب . وأنا لا أنكر ان جمالا تصرّف تصرف أيّ قائد أوربي أودع اليه أمر مستعمرة آسيوية أو أفريقية وليس في قواد فرنسا ولا انكلترة كثير يقدرون أن يرموا جمالا بحجر كما يقال او ان يعيبوا مظالمه لانهم جميعاً تقريباً يسلكون هذا المسلك وأفظع منه وهذا تاريخ استعمارهم في الهند وفي مصر وفي الجزائر وفي تونس وفي الكونغو الخ أصدق شاهد على ما نقول وفي الحرب العامة قد جرت من فريقي الدول المتحاربة كلما عات يد فريق على آخر من المناكير والموبقات وغرائب القسوة والوحشية مايزيد على أعمال جمال ولكن جمالا تركي عيبه ظاهر ، ولا يوجد له ساتر ، وأما القائد الانكليزي أو الفرنساوي فهذا مسموح له عند بعض أبناء وطننا بأن يفعل مايشاء فلا يتعرض بذلك

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لانتقاد أحد منهم ولو فات الوحوش في أعماله لانه كما ورد في المثل العامي : « من بيت الفرفور ، ذنبه مغفور »

على أن وجه انتقادنا على جمال هو كون سورية ليست مستعمرة ولا الدولة العثمانية هي دولة أوربية فان الدول المعهودة اذا قدمن عملا بين يدى العار كان لهن من القوة المادية ومن الثروة ومن البسطة ما يغطيه [1] وأما الدولة فليس عندها من القوة ما يغطي عيوبها ولو فازت المانيا وتركيا بهذه الحرب لما وجدت أحداً انتقد جمالا من هؤلاء الذين يملأون الدنيا صخبا عليه اليوم بل يقحمون في زمرته اناسا أيديهم طاهرة من جميع ما عمله ولكانوا اليوم ينوهون بمتانة جمال واقدامه وحزمه

والناس من يلق خيراً قائلون له ما يشتهي ولأم المخطئ الهبل

مسألة محاولة جعل سورية تركية

قال لي بديع بك المؤيد مبعوث الشام عقب عودتي الى الاستانة انه يوجد قانون مراد الحكومة إلقاؤه الى المجلس للمناقشة فيه وتصديقه وهو يتضمن جواز تبديل أملاك المبعدين بدون تعيين وانه بعد تصديق هذا القانون يمكن الحكومة نزع أملاك المبعدين من سورية واعطاؤهم عوضاً عنها في الاناضول وكان شاع أن جمالا ينوي هذه النية وانه أسس (قومسيون التهجير) لهذه الغاية ، وأخذوا باحصاء أملاك المبعدين . فذهبت الى نجم الدين بك ملا رئيس الشعبة الخامسة في مجلس الامة وحكيت له القصة فلم يعتقد أن المراد بهذا القانون منفيو سورية ولكنه أشار عليّ بمذاكرة طلعت ، ثم ذهبت الى الحاج عادل بك رئيس مجلس الامة فاشار عليّ بمراجعة الحكومة وصرفها عن هذا المشروع قبل طرحه في المجلس ، فصادف أني مرضت بهاتيك الامة [2] ولزمت محلي

(١) المنار : نسي الكاتب هنا الافك وقلب الحقائق فيما تذيعه البرقيات والجرائد فهذا لا يغطي مظالمهم فقط بل يحيل السيئات حسنات يمنون بها على المظلومين المقهورين

(٢) كذا في الاصل فهل هو محرف عن الآونة أم استعمل الكاتب الامة بمعنى الحين كما قال بعضهم في تفسير قوله تعالى (ولئن أخرنا عنهم العذاب الى أمة معدودة) وقوله (وادّكر بعد أمة) والصواب عندنا في تفسيره ما جرى عليه البيضاوي من انه بمعنى الطائفة من الزمن فهو استعمال للامة فى غير الاحياء فنفسرها بالحين تفسير بالمعنى في الجملة لا لغوي ، قال الراغب : وحقيقة ذلك أي في الآية الاولى : بعد انقضاء أهل عصر أو أدل دين اه . ولكن هذا الوجه لا يظهر في الآية الاخرى

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فجاءني سعدالله بك الملا مبعوث طرابلس وأخبرني أن القانون عند حامد بك مبعوث حلب وقد روجع في تأخيره الى أن اكون شفيت من وعكتي وذهبت الى المجلس فأبى وانه ان طرح القانون في المجلس خيف تصديقه بالاكثرية فاضطررت أن أقوم من فراش مرضي وأذهب الى الباب العالي وكان طلعت تولى الصدارة جديداً فلما حكيت له القصة أجابني فوراً : هذا قانون لن يذهب الى المجلس أبداً كن مستريحاً. ثم سحبوه وانطوت هذه المسألة التي كنت أنا السبب الوحيد في دفعها كما يعلم كثيرون من الرجال وما كنت لاتعرض لذكر هذه الخدمة ونشر مكنونات لم يكن في البال اظهارها لحرب نسبة النبيج لولا اشدق بعض الاعداء بما يتشدقون به من الافتراء والافتئات، واذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها السنة أمثالهم

اعادة السوريين المنفيين

كذلك القرار الاول باعادة منفيي سورية الى أوطانهم حصلت عليه بواسطة طلعت وخليل ونسيمي وجاويد ولم يكن لي فيه شريك مطلقا وقدمت تقريراً بواسطة جاويد — أقول فيه أنه لايوجد أدنى محذور من اعادة هؤلاء المنفيين الى سورية واني اكفلهم بنفسي كفالة عامة وأقدم عن كل شخص منهم بمفرده كفالة خاصة من رجل مأمون . فرد جمال هذا القرار وكان يومئذ لم يزل في سورية وكان انكسار الانكليز عن فلسطين في واقعتي غزة الاوليين قد كسب جمالا جمالا ورونقا فلم يريدوا أن يكسروا كلمته وقد انذرهم بالاستعفاء اذا أصر مجلس النظار على هذا القرار ، وذهب انور بنفسه ثاني نوبة الى سورية ومدحت شكري ناموس جمعية الاتحاد والترقي ولم يقدرا على اقناعه فعاد المخفي حنين ، وبلغني الخبر فذهبت الى طلعت وقلت له صح ان جمالا لم يقبل قراركم رجائي ان اصبر عليه شهرين فقط وانه بعد ذلك ينفذه . ثم اخذ يأذن لاناس ن المنفيين بالتنقل من مكان الى آخر كلما راجعناه في قضية واحد اجاب الطلب . كذلك انور صار يتعاهد المنفيين بالاحسان والعطاء وكانت سنين عسيرة اثناء لحرب كما لا يخفى فاضفت زيادات كثيرة على مرتبات قسم من المنفيين من جبل نان كانوا باسكيشهر وآخرين من المدينة المنورة كانوا بكوتاهية وعشاق وازمير غيرها وكانت هذه العلاوات كلها من دائرة التشكيلات التي كانت تابعة نظارة لحربية وكنت في آخر كل شهر اطالب بها وارسلها كما انني كنت اتردد دائما الى نسة المهاجرين في الباب العالي استنجز دفع شهريات المنفيين بأجمعهم فكانت

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الدولة تنقدهم كل شهر ١٥٠ الف ليرة وكنت اقول لرجال الدولة : ما سمعت ان دولة في الدنيا تشتري عداوة قسم من تبعتها بمائة وخمسين الف ليرة شهريا اصرفوا هؤلاء الناس الى اوطانهم يصيروا شاكرين داعين لكم وتوفروا على خزانة الدولة اكثر من مليون ونصف مليون ليرة في السنة . ولم يكن احديهتم بأمر المنفيين ويخاطبهم سواي لان الآخرين يخافون مغبة العلاقة معهم فكنت اقضي ليلي ونهاري في تحرير الاجوبة والبرقيات بقضاء حاجاتهم وكانت تردعلي منهم مئات من الرسائل ممن بأزمير ومغنيسية وبروسة وباليكسر وقره شهر واسكيشهر وكوتاهية وعشاق وسيواس وتوقات وكنغري وادرنه . وما زلنا نكافح بلاءهم ، ونخفف من مضض غربتهم ، الى أن تحول جمال من سورية الى الاستانة فأخذ طلعت بتسريح المنفيين تدريجاً . وحدث أن الحكومة احتاجت الى أصواتنا (أي مبعوثي العرب) في مسئلة تتعلق بتجديد مدة الامتياز لشركة حصر الدخان فاشترطت أنا والمرحوم فقيد الشام محمد باشا العظم أن يطلقوا لنا سراح المنفيين لنعطيهم أصواتنا وصرنا نعقد بعد ذلك اجتماعات يحضرها جميع مبعوثي سورية وفي احدى الجلسات قرر المبعوثون تفويض ثلاثة بمفاوضة الحكومة في شأن المنفيين وهم المرحوم محمد باشا العظم منبعوث الشام وابو علي سلام مبعوث بيروت وهذا العاجز

— ٤ —

المجاعة في سورية اثناء الحرب

ومن هم المسؤولون الحقيقيون عنها

لاجرم أن من أعظم حوادث هذه الحرب ونتائجها على الانسانية هي المجاعة التي عضت بأنيابها كثيراً من الامم ، وأتلفت مئات ألوف بل ملايين من النسم ، وكان لسورية منها نصيب واف لم يحدث التاريخ منذ قرون عديدة بأن سورية أصيبت بمثله . فقد وصل الامر الى أن بعض الناس أكلوا الميتة وبعضهم فتكوا بالاطفال وطعموا من لحمهم وبعضهم اختاط عقله فذبح ابنته وأكلها كما حصل لرجل من معلقة الدامور . ولما كان وقوع هذه المسغبة في أواخر دور الدولة العثمانية بسورية كان بديهياً أن ينقم الناس أمر هذه المصيبة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

على هذه الدولة لان الناس متى حلت بهم المصائب ينهالون بالقذف والطعن ة ل كل شيء على حكومتهم الحاضرة . ولان سحر الانكليز والفرنسيس وغيرهم من الحلفاء كان لا يزال ماشياً الى ذلك الوقت على السوريين . وكان لهم في البلاد سماة يستثمرون جهالة العامة وأغراض الخاصة في تحويل تهمة هذه الفادحة على الدولة العثمانية خاصة دون سواها ولما كان المصاب كما يقال يغيب عن الصواب كان السواد الاعظم من المصابين ميالين الى تصديق ذلك الحديث المفترى . ثم لما انتهت الحرب بانتصار الحلفاء وصار الناس في سورية يتزاحمون بالمناكب في مواكب إجلالهم ويتسابقون على جياد القرائح في ميدان التزلف اليهم ، كانت في مقدمة أسباب الزلفى قضية هذه المجاعة يذكرون أهوالها للحلفاء بكرة وأصيلا ، ليفنوا منها الى التنظير بينهم وبين الاتراك بأن هؤلاء أماتوهم جوعاً قصداً وعمداً ، وقطعوا عنهم الميرة لاتلاف خضرائهم تصوراً وتصميما ، وان الحلفاء جاؤا بعد الفتح والظفر فأغنوهم من فقر ، وأسنوهم من جوع ، وآمنوهم من خوف ، واندفعت جرائد سورية الاماندر ، تضرب على هذا الوتر ، وانبرى كل من أراد اظهار المودة للحلفاء يسرد قصص المصائب التي صبها الاتراك على نصارى لبنان نظراً لتعلقهم بفرنسا وكيف انهم جوّعوهم وأزهقوا من أرواحهم نحواً من ٢٠٠ الف نسمة كلها ذهبت في حب فرنسا ولا عجب — فأولهُ سقم وآخرهُ قتلُ — وانه لولا حب هذه الفئة فرنسا لكان الاتراك أشبعوها ولم يهملوها إذ كان الخير والميرة فائضين لديهم وانما قتروا على اللبنانيين ليستأصلوهم أو لينقصوا عددهم نقصاً عظيما يستريحون بعده من وجودهم . وبالاختصار فمائتا الف شهيد هذه كلها تكللت بالشهادة في حب فرنسا لاغير . . . وقد سرت هذه الاوهام الى أناس من أنفس الاوربيين ولاسيما من الفرنسيس حتى قرأت لهم في هذا الموضوع كلاماً كثيراً وردد صداه مجلس البرلمان الفرنساوي . فاللبناني من هذه الفئة كلما اراد ان يعتد بخدمة لقومه في هذه الحرب قال : ولقد اماتت منا الاتراك ٢٠٠ الف نسمة أثناء الحرب من اجل استمساكنا بعروة الحلفاء ولاسيما فرنسا ولعدم انحرافنا عن سبيلها . والفرنساوي كلما اراد ادعاء حق في سورية وحاول تسويغ احتلاله اياها نادى : وانا نحن الفرنسيس هناك اصدقاء مرتبطون معنا منذ احقاب متطاولة وظالما سيروا الخسف والهوان من اجلنا وتحملوا الانتقام

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والاضطهاد وناهيك انه في اثناء هذه الحرب قد اهلك منهم الاتراك مائتي الف جوعاً من اجل محبتهم لفرنسا .

وهكذا تتواتر هذه الكلمات وتتكرر وتعاد وتصقل وتخمس وتشطر وكلما جرى ذكر الحرب العامة وما اصاب السوريين فيها كانت هذه الدعوى ويسمونها « التجويع » اول مايستفتح به الخطاب ويعتد به من المنن على الحلفاء. حتى ان كثيرين ممن لايحبون فرنسا ولا انكلترا اذا طالبوهما بتحرير سورية وتركها لاهلها وذكروا سابقة السوريين في خدمتهما ومناصحتهم للحلفاء في الحرب العامة جعلوا من جملة هذه الخدمات الجلى والمناصحات المثلى هذا « التجويع » الذي اجراه الاتراك على سورية انتقاماً من أهلها

ولقد آن لكل انسان يحترم نفسه ويحاسب وجدانه، ولا يرضى ان يكون ذليلا للباطل وهو يعلمهُ، ولا أن يقارّ على البهتان وهو يشهدهُ، ان يثور في وجه هذه الاكذوبة التي طال امرها وتمادى اجلها ، ويعصي سلطة هذه الاغراض مهما كان وراءها من دول وملل ، وسيف وقلم ، فان القليل بالحق كثير ، وان العزيز مع الباطل ذليل ، وان الحق أولى ان يتبع ولو انهزم اتباعه ، وان الضلال لاجدر بأن يتنكب ولو انتصر اشياعه، ولاسيما وان صولة الباطل ساعة ، وجولة الحق الى قيام الساعة ، فالى متى نداهن الحلفاء بأن الاتراك هم الذين اماتونا ، وانهم هم الذين احيونا ، ونتبصبص اليهم بقولنا ان الاتراك كان بوسعهم ان يميرونا ، لولا تعمدهم تنقيص اعدادنا ، وتقليل سوادنا ، وانهم انما أماتونا على بينة واهلكونا وهم قادرون على استحيائنا ، كل ذلك من اجل محبتنا لفرنسا وانكلترا . والله لقد اصبحنا أمثولة في العالمين ، واضحوكة في الاولين والآخرين ، وجعلنا لسورية في التذلل والتملق تاريخاً تضرب به امثال المتمثلين، فكفانا باقوم حرباً لضمائرنا ، ومكابرة لحواسنا . انه ليس المقصود هنا الدفاع عن الترك الذين خسروا من الامور ماهو اهم من عطفنا ومودتنا واصبح لايهمهم حبنا لهم او كرهنا اياهم . وانما المقصود هو تقرير حقيقة وتحرير واقع، وابطال نغمة ملتها الاسماع، وعافتها الطباع ، لا سيما مع شدة اعراقها في الباطل ومحض صدورها عن الهوى ، فان المجاعة اثناء الحرب كانت عامة شاملة طامة غير خاصة محلا دون آخر وانما كانت شدتها على درجات متفارقة وذلك على مقدار تحمل البلدان وقابليتها وقد عمت السلطنة العثمانية

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بأجمعها شرقيها وغربيها ، وشماليها وجنوبيها ، فلم ينج من مخابلها مكان، ولا سلم سكان ، الا انه مما لامرية فيه ان السهول والبقاع التي تكثر فيها البسائط لزرع الحبوب كانت اوفر تحملا واقل بلاء من الجبال والبقاع القاحلة التي هي عيال على البحر من جهة وعلى السهل من جهة اخرى لاجل ميرتها ، لذلك لا يمكن ان يتصور العقل ان بلدة من الشام اوحلب مثلا تجوع بقدر جبل لبنان الذي كل ما ينبت من الحبوب يكفي اهله شهرين من السنة فقط ويضطر لمؤونة العشرة الاشهر الباقية الى الجلب من البحر او من داخل البلاد . اما البحر فان دول الحلفاء قد سدت ابوابه على الاهالي سداً محكما فلم تسمح حتى للاعانات الخيرية ان تدخل الى سورية ، لا يقدر ان يكابر في ذلك احد . واما الداخل فان الحبوب التي عاش منها اهل بيروت ولبنان وسكان السواحل عموما اثناء الحرب كانت ترد منه وحده ، وان قيل انه لم يرد من الداخل الا القليل ولذلك مات الوف من اهل السواحل جوعا فالجواب: من قال لكم ان الداخل لم يشتد به الغلاء ولم يخف اهله من الموت جوعا ! واي عقل يصدق ان اهل الداخل يسمحون بحبوبهم ان ترسل الى السواحل وبغلالهم ان تؤخذ من بين ايديهم ويكونون هم انفسهم تحت خطر المجاعة . فقد عالجنا هذه المسئلة جيدا وتعاركنا مع اهل الشام وحماه وحلب مراراً اثناء الحرب لاجل المقدار الذي نحتاجه من الحبوب من بلادهم وكانوا دائما يعارضون اشد المعارضة في فتح الباب على مصراعيه ، وبعد اللتيا والتي يسمحون بشاحنتين من الحبوب يوميا ويرون ذلك كثيرا ، وكم مرة اصدرت الحكومة التركية الاوامر المشددة المؤكدة بشحن كذا وكذا من الحنطة الى بيروت ولبنان وكان مجلس ادارة الشام ومجلس ادارة حلب يملآن الدنيا صراخا بكون بلادهما لا تتحملان اخراج هذه الكميات منها وانهم لا يرضون ان يجوعوا هم لاجل ان يشبع اهل لبنان وبيروت والمثل يقول: ابدأ بنفسك ثم بأخيك . وكانوا يحتجون بأن البلاد الداخلية قد تلقت قسما عظيما من سكان الجبل والسواحل وآوتهم واطعمتهم ولم تقصر في رفدهم.

فنقول ان مجالس الشام وحلب وحماه وحمص الادارية التي هي مركبة من اعيان البلاد من مسلمين ومسيحيين ويهود هل كانوا يقصدون «التجويع» وينوون به استئصال نصارى لبنان؟ وهل سكان السواحل كلهم نصارى ؟ لا ، إن الاحصاء يثبت ان المسلمين في السواحل اذا اعتبرت كلها منضمة مع لبنان يزيدون على

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

النصارى في العدد[1] أفنقول ان مسلمي الداخل ارادوا اهلاك مسلمي السواحل جوعا ؟ وقد يرد بأن اهالي حلب والشام وحماه وحمص لم يكونوا يمانعين اخراج الحبوب وانما هم الاتراك الذين كانوا يضعون العوائق. والحقيقة التي لا مرية فيها ان الاتراك كانوا يأمرون باصدار الحبوب المرة تلو المرة وكانت المعارضة تقع من اهل تلك الولايات بحجة ان مواسمها لا تكفيها وان اهلها اولى بها فلا يموتون هم جوعا لاجل شبع غيرهم . وهو كلام معقول لاغبار عليه. وكم من مرة ذهب علي منيف بك متصرف لبنان بنفسه وعزمي بك والي بيروت بذاته وغيرهما الى الشام والى حماه والى حلب واقاموا الايام الطوال يتنازعون مع المجالس الادارية في تلك الجهات فأحيانا يظفرون بشيء واحيانا يعودون بخفي حنين . وبلغ الامر في الآخر ان صاروا يطوفون بانفسهم على القرى في تلك البلاد ومعهم القوة العسكرية لاخذ ما يجدونه من الحنطة قسراً فكان الفلاحون يطمرونها في الارض ويخفونها بكل وسيلة وينكرون وجودها . وهذا جمال باشا نفسه على ما كان عليه من القسوة والغلظة اصدر اوامر لاتعد ولا تحصى بارسال المقادير اللازمة الى لبنان وتولى هو بنفسه ارسال كميات عظيمة عدة مرار ولكن تشديد الاوامر وصدورها ولو ممن اشتهر بقطّ الرقاب لا يكفيان في ايجاد القمح من العدم حينما المجاعة تكشر للجميع عن انيابها والموت الابيض واقف على الابواب

ومن جملة اعتراضات بعضهم قولهم : يا للعجب كيف أن سورية التي كانت تمير أهلها وتصدر منها حبوب الى الخارج تعجز فيما بعد عن ميرة أهلها ويموت منهم الالوف المؤلفة جوعا !وهذا الاعتراض يكاد يكون من السخف بحيث لايستحق الجواب .فان الذين يقولون مثل هذا القول ينسون الحرب الكبرى ويغفلون أويتغافلون عما كان من تناتجها في كل الدنيا لافي سورية فقط . ولقد اعطت سورية وحدها خمسمائة الف جندي الى الدولة هم لباب الامة وقوتها

(١) المنار: ان قرية القلمون في ساحل لبنان بقرب طرابلس الشام وأهلها كلهم مسلمون وأكثرهم شرفاء من ذرية الرسول (ص) وروى لنا الثقات عمن رأى اسمها في دركنار الدولة بالباب العالي انها سميت فيه بسيدة القرى والمزارع — ولقد مات ثلثا أهلها جوعا ووجد فيها من أكل الجيف وامرأة كلت من لحم أولادها، على إنهم كانوا قبل شدة المجاعة يفيضون على جيران قريتهم النصارى فضل قوتهم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

واصحاب الايدي العاملة فيها، واكثر الباقي كان من الشيوخ والنساء والاطفال وقد يقال ان قسما كبيراً من هؤلاء الخمسمائة الف فرّوا من خدمة الاتراك. والجواب ان الفارين كانوا يختبئون فلا يقدرون أن يظهروا ولا أن يتعاطوا الاشغال الزراعية فلا فائدة منهم. على أن الحرث والزرع لا يقومان بالايدي العاملة فقط. فلا يقال هاقد حضر الزارع فحسب فان البلاد اعوزها البذر والبقر وكل ما به قوام الغلة لكون الحرب جرفت اكثر المواشي بما ساقت منها العسكرية لاجل جر المدافع وحمل الاثقال ولاجل اكل الجنود على مدة اربع سنوات واستأصلت حرب ترعة السويس وحدها ٣٠ الف جمل كنت اراها بنفسي تموت بالعشرات على الطريق وأنا عائد من قلعة النخل الى معان مع المتطوعين الذين سرت بهم الى تلك الحملة. ولماذا نعني انفسنا بسرد هذه الاسباب التي كل اهل سورية يعرفونها ويعرفون انها هي السبب الاصلي في المجاعة وان الجوع عم البلاد كلها فالسهول التي مثل حوران وحمص وحماه وحلب والبقاع والغور ومرج ابن عامر كان الخطب فيها ايسر من الجبال التي كلبنان وجبل القدس ومن المدن التي كبيروت وصيدا الخ ولا ننس أنه في سنة ١٩١٥ جاء جراد سد الآفاق وعم البلاد كلها واهلك الزرع والضرع ولم يبق من بعد بذر كاف للمستقبل فكان من اقوى عوامل الجوع في السنين التي بعدها.

اذاً فالجوع الذى اصيبت به سورية لم يكن سببه سوء نية الاتراك كما يقولون بل سببه حالة الحرب العامة والحصر البحري وذلك الجراد الذي لم يسبق له مثيل فامتص خير البلاد من اول سنة، وأعثرها عثرة صعبت من بعدها اقالتها. ولقد اشتد الغلاء في جميع القطر الشامي حتى في دمشق الشام التي كانت منذ وجدت أرهى بلاد الله عيشا وأرخصها اسعاراً ومات فيها وفي توابعها الوف من الجوع ومن الامراض التي قواها سوء الغذاء ولكن ليس كما حصل في الساحل لان درجات الشدة كانت بحسب درجات قابلية الاراضي لزرع الحبوب كما قلنا وقد بلغ ثمن رطل الحنطة في حوران وهي ام الحنطة نحو ١٨ و ٢٠ غرشا ذهبا وذلك على البيادر فماذا تقول في البلاد التي ليست تقاس بحوران في قليل ولا كثير؟

(للكلام بقية)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

من الخرافات الى الحقيقة

٥

تابع لمقالة الطور الاول للاسلام (*)

(١٦) شعور الاخاء كان بالغا أعلى الدرجات بين المسلمين . ألم الواحد كان يؤلم المجموع . لانهم اتخذوا لحالتهم الاجتماعية منهاجا رسمه لهم النبي (ص) اذ قال «ان حقا على المؤمنين ان يتوجع بعضهم لبعض كما يؤلم الجسد الرأس» (١) كان الناس يمشون على هذا المنهاج الاجتماعي بكل إخلاص . أما نحن (وا أسفاه) فهل يتذكر أحدنا ان جاء المسلمين ضربة الا وكانت عن يد مسلم ؟ هذا تاريخنا الماضي لنقرأه باكين (٢)

(١٧) القاء بذور الشقاق والتفريق بين المسلمين كان ممقوتا أشد المقت حتى ان الهادي الاكرم أخرج المفرقين من بين أفراد العائلة الاسلامية . اذ قال « من فرق فليس منا» (٣) وأما في زماننا فواحسرتاه قد أصبح التفريق بين المسلمين يعد من حسن الحزم ودهاء السياسة فينا !

﴿وقلبوا الحقيقة فخصوا المفرق باسم (المنقذ) . كان الخروج من التابعية الاسلامية والدخول في حماية غير المسلمين (انقاذ !!!) ـ لاحول ولا ـ (المترجم)﴾

---

*) المنار : لاندري لماذا تصرف المترجم في الاصل بالتقديم والتأخير ومنه الفصل بين ماهنا وماسبقه من آداب الاسلام بالكلام في تأثير الفرس والترك في السياسة الاسلامية ؟

(١) رواه أبو الشيخ عن محمد بن كعب مرسلا باسناد حسن ، وفي معناه أحاديث موصولة في الصحاح هي أولى منه بالتمثيل كحديث النعمان بن بشير في مسند احمد وصحيح مسلم الذي أتى قريباً في عدد (٢١) (٢) أن حالنا الحاضرة ليست أمثل من تاريخ تعادينا الماضي وايقاعنا بأمتنا فكل ما أصابنا من استيلاء الاعداء على بلادنا قد وقع بتخاذلنا وتخريب بيوتنا بأيدينا وأيدي أعدائنا الذين والياهم وساعدناهم على أنفسنا كما أشار اليه المترجم في جملته التي ذيل بها حديث التفريق الذي بعد هذا (٣) الحديث رواه الطبراني من حديث معقل بن يسار باسناد صحيح وهو مأخوذ من قول الله تعالى لرسوله (ص) (ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء) والاحاديث في الحث على الاعتصام والنهي عن التفرق كثيرة والآيات في ذلك معروفة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(١٨) كانت النميمة بين الناس من أشنع المنكرات . لان سيد الخلق قال « إياكم والمضه النميمة القالة بين الناس »[١]

(١٩) الظن السيء في الناس الذين لم تثبت تهمتهم كان من أسوأ الاخلاق والتجسس على الناس كان معدوداً من المفاسد المنافية للتأليف مع الاسلام . لحديث « إياكم والظن فان الظن اكذب الحديث ولاتجسسوا ولاتحسسوا ولا تنافسوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا »[٢] وأما نحن فأقل اشارة تبدو من أخينا المسلم تكون سببا لاغراقنا إياه في أمواج الظنون المختلفة . فهل صار ديننا البعد عن هدي نبينا ونبذ آداب ديننا ؟

كلا ان حسن الظن بالناس قد عد من حسن العبادة في ديننا اذ قال نبينا عليه صلوات الله وسلامه « حسن الظن من حسن العبادة »[٣] وكان الناس يعدون الانقياد لهذا الهدي النبوي من أقدس الواجبات ، فليتدبره العقلاء وليحكموا على أنفسهم أو لها

(٢٠) كانوا يكرهون التفرق في المجلس الواحد ويستحبون الاجتماع والمشاركة فيه . لان النبي (ص) كان يحب مرأى أمته وهم مجتمعون . وقد دخل المسجد مرة فرأى المسلمين جالسين خمسة خمسة أو ستة ستة . فلم يرقه هذا المنظر فقال «مالي أراكم عزين»[٤] . لان هذا المنظر يوهم الاعداء وقوع التفرقة

ظل المسلمون مهتدين بهذا الهدى محافظين على وصية الاجتماع والاعتصام الى زمان ذي النورين . وهناك بدأت التفرقة . ومنذ ذلك التاريخ تمطر التفرقة على رأس المسلمين وابل النكبات والمصائب . أين العقلاء ؟

(٢١) أهم ما كان يرمي اليه النبي (ص) أن يؤلف المسلمون جسما معنويا واحداً يتحابون ويتراحمون فيكونون كأعضاء الجسد الواحد . لذلك قال « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى منه

---

(١) رواه أبو الشيخ في التوبيخ عن عبد الله بن مسعود بسند حسن . وفي النهي عن النميمة أحاديث صحيحة معروفة والمضة كمزة وسيأتي . (٢) رواه مالك واحمد والشيخان وابو داود والترمذي من حديث أبي هريرة قالوا ان التحسس بالمهملة هو التجسس بالواسطة وهو في أصل اللغة طلب الحس والاحساس بالشيء (٣) رواه أبو داود والحاكم وصححه عن أبي هريرة (٤) رواه احمد ومسلم وأبو داود والنسائي عن جابر بن سمرة . وعزين جمع عزة بوزن عدة وجمعه هذا سماعي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » .

وأما نحن فلم نفقد التحابّ والتراحم فقط بل صرنا نجهل أحوال اخواننا المسلمين السياسية والاقتصادية والاجتماعية . وكيف نتراحم قبل أن نتعارف من منا يعرف أحوال مسلمي جاوه وما جاورها من دينية وادارية واقتصادية ؟ من منا يطلب من الجرائد أن تبحث له عنها أو عن غيرها من بلاد المسلمين كما تبحث عن أمم أوربة وأميركا ؟ أين الكتب التي تبحث عن جغرافية تلك البلاد وتاريخها ؟ وكيف طوّق عنقها بقيود الحماية الغربية ؟ كيف ولماذا أصيبت بهذه المصيبة ؟ من منا — الا قليل — تشعر نفسه بالحاجة الى ما ذكر ؟ وبعد هذا الاهمال أنحن مسلمون؟ (*)

رب قائل يقول ان الجرائد غير الاسلامية تهمل البحث عن المسلمين وأحوالهم وأحداث بلادهم لعدم العلاقة بينها وبينهم وتملأ أدمغتنا بما يتعلق باروبا وأميركا ، فامتلأ الخلاء . ولكن ما قولنا في الجرائد الاسلامية ؟ هل فات أصحابها النابغين ان ماحث عليه النبي (ص) من التراحم والتعاطف يتوقف على التعارف قبل كل شيء ؟ كيف أعطف على قوم لا أعرفهم ؟ لذلك أرى التبعة تقع على عاتق مؤلفي الجغرافية والتاريخ وكتاب الصحف قبل كل الناس

(٢٢) الاتحاد من أقصى مقاصد الدين لان التعالي السياسي لايكون بدونه أبداً . لذلك [١] أمر الله تعالى به بقوله (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولاتفرقوا)

(٢٣) الاجتماع كان محبوبا جداً عنده صلى الله عليه وسلم . جاء في الحديث « اثنان خير من واحد وثلاثة خير من اثنين وأربعة خير من ثلاثة فعليكم بالجماعة » . [٢] لذلك لم يكن أحد من السلف يفكر في شخصه وحده. بل كان

---

*) المنار : لو اطلع المؤلف أو المترجم على حديث « من لم يهتم بأمر المسلمين ليس منهم » لا ورده هنا وهو عند الطبراني وأبي نعيم في الحلية بل رواه البيهقي في الشعب عن أنس مرفوعا بمعناه

(١) المنار : هذا التعليل من لوازم حكمة الدين ومقصده من الامر بالاعتصام والاتفاق والنهي عن التفرق والشقاق أو أحد المقاصد ، وليس هو العلة الاولى للامر والنهي بل علتهما الاولى ان الدين نفسه لايحفظ ولا يقوم ولا تترتب عليه آثاره من سعادة الدارين الا بذلك (٢) رواه احمد عن أبي ذر بسند صحيح والاحاديث في وجوب التزام الجماعة وحظر الفرقة كثيرة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الناس يفتشون على سعادتهم بين سعادة المجموع

(٢٤) كان المراء والجدال لتأييد أهواء الانفس من أقبح الخصال المذمومة لانه يثير الاحقاد ، ويعمي البصائر والابصار عن رؤية الحقائق ، ومما ورد من الاحاديث الصحيحة في ذمه والتنفير عنه قوله صلى الله عليه وسلم « ابغض الرجال الى الله الالدالخصم » (١)

(٢٥) معاملة الجار بالحسنى وعمل المعروف كان من أهم الآداب التي يحافظ عليها المسلمون لوصايا القرآن والسنة به ومنها حديث « احسن الى جارك تكن مؤمناً وأحب للناس ماتحب لنفسك تكن مسلماً » (٢)

(٢٦) كان افراد الامة صريحين في أقوالهم أحرار في أطوارهم. وأظهر سجايا الاسلام في طوره الاول هذه السجية . كان كل فرد مسلم يقول الحق بصراحة. ولو كان مخاطبه نفس الخليفة . وكانوا يتنزهون عن الكذب لانه أقوى دعائم النفاق وقدقال (ص). « آية المنافق ثلاث: اذا حدث كذب ، واذا وعدأخلف ، واذا ائتمن خان » (٣)

(٢٧) اغماض العين على الباطل محاباة والتملق للظلمة مداراة والغش والخداع للناس — كل ذلك كان يعد من صفات المجرمين والمنافقين ، المنافية لآداب الاسلام وصفات المؤمنين، وقد أخرج النبي(ص) كل من يغش مسلماً أو يخدعه أو يحتال عليه من الجمعية الاسلامية اذ قال «ليس منا من غش مسلماً أو ضره أو ماكره » (٤)

(٢٨) أخذ الموظفين الهدية وقبول الحكام الرشوة كان من أكبر الجرائم

---

(١) رواه احمد والشيخان وغيرهما (٢) هذا بعض حديث أوله «اتق المحارم» الخ رواه الترمذي وغيره من رواية حسن البصري عن أبي هريرة وهو لم يسمع منه وفي الباب أحاديث صحيحة كثيرة

(٣) : رواه الشيخان البخاري ومسلم والترمذي والنسائي عن أبي هريرة . وفي معناه أحاديث أخرى كثيرة صرح فيها بكون اكرام الجار من آيات الايمان وكون ايذائه ينافي الايمان (٤) رواه الرافعي من حديث علي بسند حسن وفي معناه أحاديث أخرى منها « من غش أمتي فليس منا » رواه الترمذي عن أبي هريرة بسند صحيح وهو عام في غش المسلمين وغيرهم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المذمومة. قال (ص): «أخذ الامير الهدية سحت وقبول القاضي الرشوة كفر» (١) وما قول أمراء هـذا الزمان الذين يمدون قبول الهدايا أمراً غير منهي عنه ؟ رب ارحم أمة يدير أمورها أناس لا يفقهون أحكام الشرع ! !

(٢٩) الاستقامة على الحق كانت من أس الواجبات وركن المعاملات . حتى ان النبي (ص) قال في آية (فاستقم كما أمرت) إنها شيبته تعظيما لشأن الاستقامة . وعلى من يريد أن يقف على روح الاسلام ويتأمل في صعوبة الاستقامة ، ويدرك درجة عظمة المستقيمين فـا عليه إلا أن يتأمل معاملة الفاروق للمرأة التي رآها جائعة وكيف حمل لها كيس الطحين على ظهره وكيف طبخ لها بيديه الشريفتين . من يتأمل فيما أودعته هذه الواقعة من المعاني يدرك عظمة الاستقامة وكيفية تلقيها عند المسلمين وعندئذ تتضح له أسباب تعاليهم بكل سهولة (٢)

(٣٠) العدل كان غاية من كل مسلم ، لان الله قال في كتابه العزيز (اعدلوا هو أقرب للتقوى) (٣)

(٣١) روح الاسلام حسن الخلق ، لذلك أمرنا (ص) بقوله « استقم وليحسن خلقك للناس » (٤) وقوله « الاسلام حسن الخلق» (٥) وقال تعالى

---

(١) رواه أحمد في الزهد من حديث علي كرم الله وجهـه بسند حسن. والمراد أنه من أعمال الكفار التي يتجنبها المسلمون لا انه خروج من الملة

(٢) قد يخفى جعل هذه المنقبة من مناقب الفاروق مثلا الاستقامة التي هى عبارة عن الثبات على الحق والفضيلة ولعله أراد بذلك أن هذا العمل وان كان حدثا زائلا بعد أدل الدلائل على استقامة الفاروق على منتهى آداب الشرع وكمال فضائله من حيث إن الخلافة التي هى أعلى المناصب لم تكن صارفة لامير المؤمنين عن منتهى النجدة والتواضع وخدمة أضعف أفراد الامة

(٣) ينبغي أن تجعل هذه المسألة هكذا : كان العدل مع البعيد والقريب، والعدو والصديق، والبغيض والحبيب، فرضا لازبا على كل مسلم في هذا الدين لان الله قال في كتابه العزيز (ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى) أي لا يحملنكم بغض قوم لكم أو بغضهم لكم على ترك العدل فيهم بل اعدلوا مع كل أحد لان العدل وهو ميزان صلاح العالم أقرب للتقوى فيتقى به من شر الشانئ مالا يتقى بتركه أو بضده

(٤) رواه الطبراني والحاكم والبيهقي وحسنوه (٥) رواه الديلمي عن أبي سعيد الخدري

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مادحاً نبيه (وانك لعلى خلق عظيم) وقال (ص) « أفضل المؤمنين أحسنهم خلقاً » (١)

(٣٢) التعدي والتجاوز على الناس كان منهياً (ومنثيا) عنه لان النبي قال (ص) « أفضل المؤمنين إسلاما من سلم المسلمون من يده ولسانه وأفضل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقاً » (٢) . وهذا تأميناً لحرية الافراد من أي تعد خارجي

(٣٣) حسن الخلق كان يوصل صاحبه الى أعلى درجات التقوى التي لا تنال الا بقيام الليل وصيام النهار لان النبي (ص) قال « ان المؤمن ليدرك بحسن الخلق درجة القائم الصائم » (٣)

(٣٤) علو الهمة والسماحة من مكارم الاخلاق العالية عند المسلمين فقد جاء في الحديث « اسمحوا يسمح لكم » (٤) لكي تقابل المكارم بمثلها .

(٣٥) كان المسلمون يسلم بعضهم على بعض عند التلاقي بكل لطف وبشاشة واخلاص ، لاجل استمالة القلوب ودوام التحاب ، ومما ورد من الحديث في ذلك « افشوا السلام بينكم تحابوا » (٥)

(٣٦) الرفق واللين كان الاساس لجميع المعاملات ، لان النبي (ص) قال « ان الله يحب الرفق في الامر كله (٦)

(٣٧) إن البشاشة في الوجوه عند اللقاء كانت من الآداب العامة المطلوبة للتحاب وكان التعبيس والتقطيب من الخصال الممقوته قال (ص) «ان الله تعالى يبغض المعبس في وجوه اخوانه (٧) (للكلام بقية)

(١) رواه ابن ماجه والحاكم من حديث ابن عمر بسند صحيح
(٢) رواه الطبراني من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص بسند صحيح وله تتمة
(٣) رواه أبو داود وابن حبان من حديث عائشة (٤) رواه عبد الرزاق في جامعه مرسلا بسند صحيح (٥) رواه الحاكم من حديث أبي موسى وصححه (٦) رواه البخاري من حديث عائشة (٧) رواه الديلمي في مسند الفردوس عن علي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الرحلة الاوربية

٢

السفر من تريسته

سافرنا من تريسته يوم الخميس في الربع الاخير من الساعة السابعة صباحا (٦ س و ٤٥ د) في قطار أوربة الاكبر وكان موعده قبل ساعة ولكنه تأخر لتأخر مجيئه من الآستانة

سار بنا القطار في خيف شجير ، من ذلك الجبل النضير ، فكانت شجراؤه عن يميننا في الجبل وعن يسارنا فوق البحر ، ومازال يتسلق بنا متلويا كالارقم في الاجم ، حتى استوى على تلك السهول الفيحاء ، والسهوب الشجراء ، ذات المروج الخضراء ، والرياض الغناء ، الكثيرة النوار ، والمفتحة الازهار ، حتى كان الزمان قد استدار ، فتحول الشطر الثاني من آب الى مثله من نيسان وأوائل أيار — وهي السهول المعروفة بسهول لومباردية — ، وبعد أربع ساعات وصل الى مدينة البندقية (فينيسية) وهو يدخل اليها على طريق يبس في رقراق من الماء يسير فيه خمس دقائق يقطع فيها زهاء أربعة أميال (أوه كيلو) ثم عاد بنا القهقرى في ذلك الماء بمدوقوف دقائق في المحطة ثم وصلنا الى مدينة (ميلان) وقت العصر (الساعة ٣ و ٤٥ دقيقة) ومكث في محطتها نصف ساعة تزود فيها ما يحتاج اليه من الفحم والماء ، وبين البندقية وميلان بلاد وقرى كثيرة عامرة لا يقف عليها القطار العام السريع وإنما المواصلات بينها بالقطر الوطنية . وأما هاتان المدينتان فهما من أعظم المدن ذات الصناعات الجميلة والآثار التاريخية التي يقصدها السياح من الاقطار ولو شئنا لنقلنا من كتب التاريخ شيئا من وصفها كما يفعل كثير من الناس فيما يكتبون في رحلاتهم ، ولسنا من مستحسني هذه الطريقة باطلاق ، وإنما يحسن فيها تقييد بعض الشوارد المبعثرة ، والنوادّ التي لا تنال باليسير من المرجعة ؛ والنوادر التي تزدان بها المحاضرة ، وما يستنبطه السائح من العبرة والفائدة ، حتى فيما صورته الفكاهة والتسلية

ومما لاحظته في نبات هذه الارض ان اكثر شجرها صغير ومتوسط العمر لعل اكبره لا يتجاوز عشر سنين وذلك أنهم يتناولونه بالقطع للاستفادة من خشبه ولكن بالقرب من ميلان أدواحا عظيمة باسقة ، كأنهم يستبقونها

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

للزينة، ورأيتهم يختلون خلالها (أي يقطعون حشيشها) بآلات تستأصله من وجه الارض ويجففونه ويجملونه اكداسا كما تكداس حصيد القمح والشعير، ولا يلبث أن ينمي مكانه ويطول لان المكان مجاج الثرى ريان بالماء

ولم أر في تلك الحقول الخضراء زرعا غير الذرة وهي غضة حسنة النماء فيما قبل ميلان من الارض واكثرها ضئيل فيما بعدها، وبالقرب من المدن والقرى حقول وبساتين مزروعة بقولا كالفاصوليا والكرنب والطماطم وأما شجرها فمنه التفاح والكمثرى وقد أينع ثمره وطابت فاكهته

وأجمل مناظر هذه البلاد على الاطلاق البحيرات فقد مررنا ببعضها عن بعد وببعضها عن كثب، ولم أنس لا أنسى أصيل ذلك اليوم اذ بلغنا بحيرة ماجور أو (ميجارو) فراعني ذلك المنظر البهيج، الذي لم أر له فيما سبق من عمري من شبيه ولا نظير، وانما رأيت نظيره بعد ذلك في سويسرة، فأقول: إن مثل هذه البحيرة وبحيرة (لوسرن) من البحيرات التي بين الجبال هو أجمل ماخلقه الله في هذه الارض

البحيرة واسعة، بين جبال شاهقة، مزدانة بالجنات الالفاف، والاجم الغبياء، من أدنى الغور المساوي للماء، الى الشماريخ التي تناطح السماء، وترى فيما يدنو منك من هذه الجنات، المعروشات منها وغير المعروشات، أصناف الاعناب وأنواع الثمرات، وهي ذات تمارج كثيرة، وفيها جزائر صغيرة، بنيت فيها قصور نضيرة، يصلون اليها بزوارق جميلة، ومياهها زرقاء صافية، وهي تتسع في مكان وتضيق في آخر، وأخياف الجبال المحيطة بها تمتد على بعض الضفاف وتتقلص عن بعض، ولبعضها ألسنة مستطيلة فيها، ورءوس مقنعة في بعض نواحيها، والقطار يسايرها في جوانبها، ويلتف على معاطفها، فيدنو ويبعد، ويغور وينجد، ويصوب ويصعد، ونحن فيه متلعو الرؤس شاخصو الابصار، نقلب الطرف ذات اليمين وذات اليسار، فمنظر البحيرة العجيب عن أيماننا، ومنظر الجبال الغريب عن شمائلنا، وفي كل منهما آيات للناظرين، ومعاني للمتفكرين، تثير في الخيال هواجس الشعر، وتنفث في الوهم رقي السحر، وتلقي في العقول معاني الفنون، وتوحي الى القلوب حقائق الايمان بمن يقول للشيء كن فيكون،

تذكرت برؤية تلك الجنات الغناء، والغابات الغبياء، والرياض الفيحاء،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وصفي لروضة من روضات الوطن في مقصورتي وهو:

وروضةٍ تجلى بثوب سندس ... رصّعها النَّوْرُ بأصناف الحُلَى (١)

ماصوَّحَ البارحُ غضَّ نجمها ... وناضرُ الافنانِ منها ماذَوَى (٢)

والباسقاتُ رفعت أكفّها ... تستنزل الغيث وتطلب النَّدى (٣)

تمتاجُ (الكربون) من ضرع الهوا ... تؤثرنا بالاكسجين المنتقى (٤)

مدّت على الصعيد ظلاً وارفا ... فلاذَأى العودُ ولا الظلُّ أزَى (٥)

والشمسُ تبدو من خِلال دوحها ... آونةً تخفى وتارة تُرى (٦)

كفادة وضّاحة قد أنلمَتْ ... من خَلَل السُّجرف ترنو الكُوى (٧)

(١) الروضة الموضع المعجب بالزهور قاله في المصباح وأصله مجتمع الماء ثم أطلق على ما يحدثه الماء من النبات والزهر وهو الترويض . والنور بالفتح زهر النبات والشجر واحده نورة فهو كتمر وتمرة وجمعه أنوار ونوار بوزن تفاح . والحلى بالكسر وبالضم جمع حلية بالكسر وهي ما يتزين به النساء من الجواهر. والترصيع تزيين الحلي والحلل بالجواهر التي شبه بها هنا أصناف النوار (٢) البارح الريح الحارة وتصويحها للنبات تجفيفه والنجم النبات الذي لا ساق له ويتابله الشجر وأشير اليه بالافنان وهي الاغصان وذوى بذوي ذبل (٣) الباسقات جمع باسق و باسقة وهو ما ارتفع وذهب في الافق طولاً وارتفاعا وأكثر ما استعمل في وصف النخل والسحاب والمراد هنا كل ما ارتفع من الشجر كالحور والسرو، وأكفها أغصانها المورقة، وارتفاع الشجر سبب من اسباب المطر، والندي المطر أو مادون الغيث من ماء السماء أي ما يتكاثف من بخار الماء بالتدريج فيحدث بللا . ومنه الندى بمعنى الجود والسخاء. وفي اللفظ هنا توربة لطيفة، على مافيه وفيما قبله من استعارات طريفة ،

(٤) تمتاج ترتضع والكربون عنصر كيماوي يكثر في الفحم والاكسنجين عنصر آخر يدخل في تركيب الهواء والماء وهو علة أو سبب من أسباب حياة الحيوان والنبات ، وباستنشاقه في الهواء يطهر الدم من المواد السامة والشجر يتنشق حمض الكربون السام من الهواء و يفرز الاكسجين النافع المطهر للدم منه ومن غيره

(٥) الصعيد وجه الارض والظل الوارف المتسع الممتد . وذأى ذأيا وذأواً ذبل كزوى ، وأزى يأزي وأزا يأزوا تقبض وتقلص (٦) الدوح جمع دوحة وهي الشجرة العظيمة (٧) الفادة الحسناء الناعمة اللينة العنق والقوام واتامت مدت عنقها متطاولة لتنظر. والسجوف جمع سجف بفتح السين وكسرها وهي الستور التي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تلقي على الروض نثير عسجد فتحسب الروض عروساً تجتلى [٨]

وأين هذا الوصف القاصر ، من هذا المنظر الناضر ، والجمال الساحر ، وأنى لي بتخيل مثله في طرابلس والقلمون ، وان كانت كثيرة الجنات جارية العيون.

كل هذا الجمال والجلال ، الذي تجلى علينا بمناظر البحيرة وما يحيط بها من الجبال ، وما يزين ضفافها وجزائرها من القصور والفنادق ، والجنات والحدائق ، والفلك والزوارق ، وما تولده من المعاني الشعرية ، والخواطر الاجتماعية والروحية ، لم تكن لتنسيني أن ولدي مريض ما أدري ما فعل الله به ، ولا لتصرفني عن الخوف عليه والدعاء له ، ولاسيما في أعقاب الصلوات ، وما وفقت له من تلاوة القرآن . والوضوء والصلاة في هذه القطر من أسهل الامور ، ومعرفة سمت القبلة فيها ميسور ،

وانتهينا عند الساعة السابعة مساء الى محطة وقف فيها القطار نصف ساعة لانكسار مركبة الطعام هنالك وقد ظننا انها اصلحت في تلك المدة ولكن خاب الظن وبقينا بغير عشاء، على اننا مكثنا زمنا طويلا في المحطة التي بعدها وهي آخر محطة طليانية وفيها مطعم عام، الا اننا شغلنا عن الطعام فيها بعرض جوازات السفر وتفتيش الصناديق وبما اتخذ من المعاملات الجمركية بشأن لفائف التبغ التي يحملها الرفاق

ثم سار القطار بنا ولم يلبث أن دخل في النفق الكبير الفاصل بين ايطالية وسويسرة ومكث في بطن الارض ٢٥ دقيقة ثم تجاوزه ووقف بنا بعد نصف ساعة في أول محطة سويسرية فمكثنا فيها مدة لاجل معاملات الاجوزة وقد أخذوها منا واعدين باعادتها لنا في جنيف. ثم سرنا فوصلنا الى مدينة (لوزان) في منتصف الليل فلم ندرك القطار الذي يسافر ليلا الى جنيف لتأخرنا عن الموعد فبيتنا بقية ليلتنا في فندق (فيكتوريا) بقرب المحطة وقد طلبنا فيه طعاماً فقيل لنا أن المطعم قد أقفل ولا طعام الا الخبز والجبن والزبد والمربى والفاكهة فجاؤنا من ذلك

تنصب على الابواب والنوافذ مؤلفاً كل منها من سترين بينهما فرجة وقيل السجف الشق بين الستر ين المقرونين . والكوى بالضم جمع كوة وهى النافذة الصغيرة. والخلل بالتحريك ما بين الاشياء من فرجة . ورنا اليه وله رنا ورنوا نظر ، بل هو اطالة النظر مع سكون الطرف كنظر العاشق (٨) المسجد الذهب . والنثار والنثير ما ينثر أي يلقي متفرقا وكانوا ينثرون الدنانير حول العروس

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بأفضل أنواعه مع الماء المثلوج والثلج لتبريد الفاكهة وهي موز وتفاح وكمثرى فكان هـذا العشاء أشهى وألذ من كل طعام أكلناه في أوربة اذ كان عقب جوع صحيح وتعب طويل

أكلنا طعاماً لطيفاً لذيذاً ، ونمنا نوماً هادئاً مريحاً ، على سرر مرفوعـة وفرش وثيرة نظيفـة ، ولكل حجرة من حجرات النوم حمام خاص ، تمتعنا بها في ليلنا وفي صبيحته

كان الجوّ في ذلك اليوم الذي قطعنا به أرض ايطالية يوم صيف معتدل ، وان كانت أرضها أرض ربيع مدبراً ومقبلاً ، ولولا غمام رقيق كان يكفكف بعض أشعة الشمس ، لعد هنالك من أيام الحر ، وقد تغير الجو علينا في سويسرة بعد نصف الليل فهب الهواء البليل ، ولما أصبحنا رأينا السحاب يتكاثف في الافق ، ثم طفق يجود برذاذ لطيف ، ثم تكاثف السحاب قبل الظهر ، واشتد المطر بعد العصر ، فكان كما وصفه ابن دريد بقوله :

جَوْنٌ أَعارته الجنوبُ جانباً منها وواصتْ صَوبه يَدُ الصَّبا [1]

نَاءَ يمانيًّا فلما انتشرت أحضانُه وامتدّ كِسراه غَطا [2]

---

(١) قوله جون صفة لمحـذوف تقديره سحاب جون وهو فاعل لقوله سقى العقيق الخ في بيت سـابق. والجون الاسود ويطلق على الابيض فهو من أسماء الاضداد التي يتعين المراد منها بالقرينـة والمراد بالجنوب الريح التي تهب من جهة الجنوب فتجيء بالمطر ، والصبا الريح الشرقيـة ، وهي تتحد مع الجنوبية كثيراً وتشبهها كما أن الريح الغربية تتحد مع الشمالية وتشبهها ويكثر مجيء المطر بعدهما في نصف الارض الشمالي كما يكثر مجيء المطر بعـد الاولين في النصف الجنوبي . وواصاه واصله والمعنى ان هذا السحاب بدأت الجنوب باثارته بحركتها ، وبتلقيحه ببردها ثم واصلت الصبا بهبوبها ما بدأت به أختها (٢) ناء نهض بثقل وجهد وبالامر نهض به بتعب ومشقة وأحضان الشيء نواحيه وأصله ما دون الابط الى الكشح من الانسان ، والكسر بكسر الكاف وفتحها ما تكسر وتدلى من الحباء الى جهة الارض ، وهو استعارة جميلة. وغطا يغطو ارتفع وقيل انبسط ، والمعنى ان هـذا السحاب الجون ناء بحمل الماء حال كونه يمانيا اذ اليمن من بلاد العرب في الجنوب وقد بدأ ظهوره منها فلما انتشرت جوانبه بمواصاة الصبا ومواصلتها لعمل الجنوب فيه وامتد كسراه الجنوبي والشرقي في سائر الافق ارتفع اذ خف حمله بما أفرغ من ثقله أو انتشر وصار

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وجلّل الأفق فكل جانب منها كأنْ من تُطره المُزْنُ حبا (٣)
وطبّق الارضَ فكل بقعة منها تقولُ الغيث فيّ هاتا ثوى (٤)
اذا خَبَتْ بروقه عنّت له ريحُ الصَّبا تَشُبُّ منه ماخبا (٥)
وان وَنَت رعودُه حدا بها حادي الجنوب فحدَت كما حدا (٦)
كأن في أحضانه وبَرْكه بَرْكاً تَداعى بين سَجْنٍ ووَحى (٧)

عاما كما صرح به في البيتين التاليين لهذا (٣) جلل الافق غطاه وعمه بستره اياه ، والمزن السحاب الممطر . وحبا زحف ودنا يقال حبا الصبي اذا زحف ، والمعنى انه بعد ان عم الافق وجلله صار كل قطر من أقطاره كان المزن قد زحف بصيبه منه اذ لم يعد خاصا بالجنوب حيث نهض ولا بالشرق حيث امتد (٤) طبق الارض غطاها وجللها بقطره كما طبق هو الافق بنفسه — وعده في الاساس مجازاً — فكل بقعة منها تقول ان الغيث قد ثوى في هذه دون غيرها كما يؤخذ من تقديم الظرف والمعنى يقتضيه . وهانا اسم اشارة للمؤنث معروف كهذه وهذى وتستعمل كلها بدون هاء التنبيه أيضا (٥) خبا البرق سكن كالسراج اذا طفيء يقول اذا خبت بروق هذا الجون عنت وعرضت له ريح الصبا فاعادت وميضه ولمعانه كما تشب النار السراج بعد انطفائه (٦) ونت ضعفت او فترت ، وحدا الابل وحدا بها غنى لها ينشطها على السير : وحادي الجنوب وفي رواية راعي الجنوب معناه الجنوب الذي هو كالحادي أو الراعي للابل لانه هو الذي يسوق السحاب . يقول : وان ضعفت أو فترت رعوده انبرى له من ريح الجنوب عاصفة ما يصيح به كما يصيح حادي الابل بها اذا ونت وضعف سيرها فعادت تجاجل بصوتها كأنها تجيبه عن حدائه بمثله . وليس المراد ان البرق ومض بتأثير ريح الصبا وحدها في السحاب والرعد يقصف بتأثير ريح الجنوب وحدها ، بل المراد ان هذا السحاب الذي تعاونت الجنوب والصبا على اثارته ولفحته ببردها فحمل القطر ثم ألقى حمله على الارض تتعاون الريحان في شب بروقه وقصف رعوده بجمعهما بين زوجي الكهرباثية الايجابي والسلبي الذي يشب البرق فيحدث بشبوبه تفريغ الهواء الذي هو سبب الرعد . وفي الكلام من ظريف الاستعارات ما ترى وتسمع . وقد فسر الاستعارات من مكنية وتمثيلية بالتشبيه الصريح في البيت التالي وبما بعده (٧) البرك الاول الصدر والثاني جماعة الابل الباركة وانما يقال برك البعير لانه يلقي بصدره الى الارض ، وتداعى أصله تتداعى أي يدعو بعضها بعضاً

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لم تر كالمزن سَوَاماً بُهَّلا تحسبها مَرعيةً وهي سُدى (١)
يقول للأجراز لما استوسقت بسَوْقه تقي ريٍّ وحيا (٢)
فأوسع الأحداب سَيْباً مُحسِبا وطبَّقَ البُطنان بالماء الرَّوى (٣)

والسجر والسجور حنين الناقة وجعله الراغب استعارة من سجر النار لالتهابها في العدو. وفي مجاز الاساس: سجرت الناقة سجراً وسجرت تسجيراً امدت حنينها في أمر ولدها وملأت به فاها. قال:

حنت الى برق فقلت لها قري بعض الحنين فان سجرك سائقي

وانما قيد الحنين هنا بالممتد الذي يملأ الفم لان حقيقة السجر الملء يقال سجر التنور اذا ملاها لهباً وسجر المطر الوادي اذا ملاه والبحر المسجور المتلىء. وقوله «قري» في الشاهد أمر من الوقار والسكون يقول للناقة لاتجعلي حنينك ممتداً دائماً بل اكتفي ببعضه والتزمي أفله فان سجرك يشوقني الى وطني ومن أحب فيه فأحن اليه كما تحنين الى فصيلك. والوحى كفتى الصوت الذي ينقضي بسرعة، والعجلة والسرعة، ويقال الوحى الوحى والوحاء الوحاء في طلب النجدة والاغاثة السريعة. والمعنى كان مافي جوانب ذلك الجون وفي صدره وهو وسطه من قطع السحاب التي تجتمع وتفترق وتتحول من جانب من جوانب الافق الى آخر بين وميض البروق وقمقمة الرعود التي تمتد وتقوى أحياناً وتنقضي أحياناً بسرعة - كأن في ذلك - ابلا باركة يدعو بعضها بعضاً الى التحول والانتقال فتنتقل بين حنين خفي قصير وحنين ممتد طويل

(١) السوام الابل السائمة أي الراعية وأسامها رعاها فهو مسيم، والبهل التي لم تحلب فهي ملاى الضروع بالالبان وناقة باهل غير محلوبة ولا مصرورة أي ولا مربوطة الضرع، يحلبها من شاء، وقيل المتروكة الرعي، والسدي المهملة التي لا راعي لها. والمعنى أن هذه السحب الممطرة في كل مكان، التي تشبه السوام البهل المبذول لبنها لكل انسان، تحسبها في انتقالها وحركاتها بتأثير الرياح كالمرعية التي يسوقها الراعي الى حيث يشاء وهي في نفس الامر سدى مهملة لاراعي لها لان الرياح ليس لها ارادة في تحريكها وسوقها. (٢) الاجراز جمع جرز (بضمتين) وهو الارض اليابسة التي لا نبات فيها لجفافها، واستوسقت حملت من أوساق الماء ماجمعت، والتوسق جمع المتفرق ومنه الوسق بالضم للكيل المعلوم. والري بالكسر الشبع من الشرب، والحيا بالقصر يطلق على المطر وعلى ماينشا عنه من النبات والخصب والمعنى ظاهر (٣) الاحداب جمع حدب وهو ما ارتفع من الارض والبطنان بالضم جمع بطن، والسيب العطاء والمحسب

الإهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

كأنما البيداء غب صوبه بحر طما تياره ثم سجا (٤)

هذا واننا كنا نريد أن نسافر الى جنيف قبل الظهر ولكن جاء منها لاستقبالنا من كان فيها من إخواننا السوريين- نجيب بك شقير وصلاح الدين افندي قاسم وتوفيق افندي اليازجي الذي كان سبق من قبل حزبنا للاستعداد للمؤتمر فتأخرنا الى المساء، ولم نتمكن من التجوال في لوزان لشدة المطر، ثم سافرنا عند انتهاء الساعة الخامسة مساء والمطر يهطل والريح تمنعنا من فتح نوافذ القطار، ومناظر سويسرة تأخذ بأبصارنا ذات اليمين وذات اليسار، فوصلنا الى جنيف في خمسين دقيقة (للكلام بقية)

﴿ الرحلة السورية الثانية ﴾

(١٠)

حكومة دمشق العربية

كنت قبل سفري الى سورية سألت عن حكومتها بعض من جاء منها الى مصر من السوريين والاجانب الذين يوثق بعلمهم ورأيهم — ومنهم الجنرال كليتون الشهير والدكتور بشير القصار منا — فقالوا انها ليست رديئة وليست كما يجب من كل وجه، وهي شهادة حسنة لحكومة جديدة، هذه حقيقة حالها في ذاتها، ففيها ضعف بالنسبة الى ما يجب ان تكون عليه كل حكومة في هذا العصر. ولكنها كانت على مافيها من ضعف وقصور خيراً من حكومتي الاحتلال في المنطقتين الاخريين: الجنوبية (فلسطين) الانكليزية، والغربية (لبنان وساحل سورية) الفرنسية

كانت هذه الحكومة العربية الطفلة أقرب الى العدل والحرية والمساواة والاصلاح، وأبعد عن التعصب والمحاباة والافساد الادبي والاقتصادي من حكومتي

الكافي الذي يحمل المعطى على أن يقول حسبي حسبي. والماء الروي بكسر الراء المشددة والقصر — الغزير المروي كروي ورواء بالفتح، والمعنى أنه أروى ظاهر الارض وباطنها وأحداثها وأيفاعها التي ينحدر عنها الماء فلا ترتوي الا بالغزير المتصل

(٤) البيداء الصحراء، وصوب المطر نزوله وانحداره، وطما ارتفع، وتياره موجه، وسجا سكن. والمعنى ان البيداء كانت غب نزوله اي بعده كبحر ارتفع موجه واضطرب، وسكن بعد ذلك ثم ذهب، وبذلك كان رحمة لا نقمة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الدولتين اللتين ابتدعتا لنا بدعة الانتداب لاصلاح بلادنا بحجة اننا عاجزون عن النهوض بأمر أنفسنا ، ولقد كانت هذه الحكومة بعد زوال السيطرة البريطانية ولا سيما بعد اعلان الاستقلال خيرا منها قبل ذلك: كانت متوجهة الى الاصلاح الاداري والعلمي، وكانت الحرية بجميع أنواعها ولا سيما حرية الاجتماع والخطابة والنشر مما تحسدها عليه سائر البلاد السورية ومصر ، وزال من دمشق ما كانت مشهورة به من المبالغة في الحفاوة والتعظيم للحكام والوجهاء ، وشعر الشعب بحرمته وكرامته ، وقد كان لتواضع فيصل وآدابه الشخصية العالية تأثير عظيم في ذلك

كان اليهودي الصهيوني يحابى في فلسطين فيقدم على المسلم والمسيحي بغير حق، وكان الكاثوليكي يحابى في الساحل كذلك ، ولم يكن المسلم يحابى في حكومة الشام ، ولا شكا مسيحي ولا يهودي من الحكومة ولا من الاهالي تعصبا عليه، ولا ظلامة له من المسلمين ، ولم يكن المسلمون يرجون من الوزراء ورؤساء الحكومة المسلمين مالا يرجون من الوزراء والرؤساء من النصارى . وما أبرئ هذه الحكومة من عيب محاباة الكبراء وقبول شفاعتهم في طلاب وظائفها بدءا وترقية ، وكان أكبر هذا الضعف في الوزراء والرؤساء بازاء الملك فيصل وعشيرته والمقربين منه فان هؤلاء قد اعتادوا على عهد سلطتهم العسكرية المطلقة أن يتصرفوا في الاعمال والأموال بما شاؤا وكيف شاؤا، فصعب عليهم بعد اعلان الاستقلال أن يتقيدوا بقانون ونظام، ولم يكن للوزراء من الشجاعة الادبية والتكافل ما يؤهلهم لتقييدهم وتعويدهم الوقوف عند حدود سلطتهم الرسمية ، اذ كانوا هم قد اعتادوا في عهد الترك أن يميلوا مع أهواء الرؤساء والكبراء ، ومع هذا أمكن لحكومة الاستقلال أن تقيد الملك براتب محدود لم يكن راضيا به على كثرته ، وكان يستهلك راتب كل شهر في أوله أو قبل بدو هلاله، ويطلب من وزارة المالية سلفة بعد سلفة فلا ينال كل ما يطلب ولا أكثره بسهولة . وقد كان نفوذه في بعض الوزارات أقوى منه في غيرها، واختلف مع الوزارة في عدة مسائل من أهمها انه كان يريد ارسال حملة من الجيش السوري الجديد لقتال ابن سعود إنجادا لوالده — اذا ثبت ما كان أشيع من عزم الاخوان النجديين على الاستيلاء على المدينة المنورة — فلما كاشف الوزراء بذلك حاروا في أمرهم، و بعد تشاور وتدبر قرروا الرد عليه بأنه لا سبيل الى ارسال حملة من جند الحكومة، ولا انفاق شيء من مالها في

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

هذه السبيل، وانما يمكن جمع حملة متطوعة بمال الحجاز، وكان هذا أفضل موقف للوزارة الاتاسية مع الملك فيصل لشدة اهتمامه بهذا الامر وتصريحه للاتاسي وغيره بأنه اذا وقع القتال بين والده وبين ابن سعود فانه يغادر سورية ويذهب بنفسه للقتال سواء ساعدته حكومة الشام أم لا، ولكن لم يقع ما كان يتوقع ولو وقع فأصر فواتته الوزارة لعجزت عن التنفيذ وكان هذا رأيي اذ شاورتني في الامر

لو وجدت في الشام وزارة حازمة بصيرة لامكنها أن تعمل في البلاد عملا عظيما في فرصة الاستقلال وارتفاع السيطرة العسكرية البريطانية عن المنطقة الشرقية، وقد كان لي أمل كبير في وزارة علي رضا باشا الركابي - لا أدري أكان للصلة الودية بيننا تأثير فيه أم لا — ولا أدري كنه السبب لخيبة هذا الامل. كان بعض الناس يبالغ لي في الطعن فيه وبعضهم يدافع عنه، ولم أستطع الوقوف على حقيقة رأيه في موقف البلاد السياسي، ولا فيما يجب أن تكون عليه الحكومة على ما كان من احترامه إياي وحسن اعتقاده الذي هو فوق ما أشرت اليه في الفصل الذي قبل هذا، وانما كنت أعجب لكلمة سمعتها منه مرة أو مرتين وهي إن استقلالنا مضمون وانكلترة وفرنسة متفقتان عليه!! وقد اقترحت عليه شيئا واحداً من الاصلاح، وهو وضع ادارة منظمة للعشائر والقبائل بينت له بعض مسائلها ومايرجى منها، فأظهر لي منتهى الاستحسان لها، وطفق يماطل ويسوف فيما مع إقناعي للملك فيصل بوجوب العناية بها، وأمره إياه بتنفيذها، ولم يفعل. وقد كثر بعد الاستقلال المنتقدون له حتى صار أكثر أعضاء المؤتمر وافراد حزب الجمعية التي ينتمي هو اليها وهو حزب الاستقلال العربي عليه، وانتهى ذلك بانحراف الملك عنه، وعقدت اجتماعات سرية للبحث في اسقاط وزارته حضر بعضها الملك فيصل وتقرر فيها استبدال وزارة قوية بها، فتألفت وزارة هاشم بك الاتاسي ودخل فيها الدكتور عبد الرحمن شهبندر والمرحوم يوسف بك العظمه وكان الكاتب هو المقترح الاول لادخالهما في هذه الوزارة. وأما الرئيس فاختاره الملك فيصل، وقد كان أحد أعضاء لجنة الشورى السرية

قد استطاع هاشم بك بدهائه ولطفه إرضاء الملك، ولكنه لم يكن بالرئيس الذي يرضاه في هذا الوقت المؤتمر ولا الاحزاب وفي مقدمتها حزب الاستقلال العربي الذي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

هو منه، لان الجميع كانوا يطلبون وزارة دفاعية تصرف جل جهدها في الاستعداد للدفاع عن الاستقلال اذا اعتدي عليه ، أو يكون لاستعداد سببا لعدم الاعتداء . فلم يلبث أن ضايقه المؤتمر والحزب، وتوجه رأي الاكثرين الى وجوب تبديل وزارته وكثر الانتقاد في المؤتمر عليها، والاقتراحات في أمر استيضاحها عن موقف البلاد ، والاستعداد للدفاع، وكنت أجتهد في حمل المؤتمر على الاناة والتروي والحزب الغالب يظاهرني ولما علم حزب الاستقلال بانذار الجنرال غورو للملك فيصل اجتمعت الجمعية العامة له في الليلة الـ ٢٧ من شوال (١٣ يوليو) وانتخبت وفدا مؤلفا من أعضاء اللجنة المركزية وسبعة من غيرهم لابلاغ الملك فيصل وجوب تبديل الوزارة فان لم يجب بكلمة هاشم بك أن يستقيل ويقنع الملك بأن يكلف ياسين باشا الهاشمي تأليف وزارة دفاعية. وكان كاتب هذا رئيسا لتلك الجلسة ثم للوفد ، فلما بلغنا الملك ذلك أجاب جوابا جافا خلاصته أنه لا يعمل برأي جمعية ولا حزب ولا المؤتمر ، وأجبته جوابا أشد من جوابه وأجف أو اجفى ، ولا حاجة الآن الى تفصيل ذلك ، ثم كلفت رئيس الوزارة الاستقالة باسم الوطن واسم الاخوان فأجاب بالقبول — قال ولكن أليس يجب الاتفاق قبل ذلك على من يخلفنا لئلا يكونوا ممن تنكرون منهم ما لا تنكرون منا ؟ فأنتم تثقون بوطنيتي ولا تشكون مني الا الضعف عن النهوض باعباء الحال الحاضرة، وربما كان الخلف الذي يرضاه الملك أضعف وغير موثوق بوطنيته ، وقال ان الملك لن يولي الهاشمي الوزارة بل اجتهدنا في اقناعه بأن يوليه وزارة الداخلية فأبى

إنما موضوع كلامي هنا بيان ضعف الوزارة لا ترجمة الملك فيصل ، ولا تاريخ تلك الايام المفصل . وقد كنت كلمت الامير زيدا في ذلك اذ خلوت به مرتين في أيام فرصة عيد الفطر — احداهما في داري والاخرى في البلاط — وكان يشكو من ذلك مثلنا . فقلت له : إن الاصلاح لن يكون الا بترك الملك التدخل في أعمال الوزارة بنفوذه الشخصي — فاعتذر عن تدخل الملك بأن سببه ضعف الوزارة وعجزها ، فقلت له: إنما يجب عليه إصلاحها لا التصرف الشخصي في جزئيات أعمالها الذي يزيدها خللا. وقد كان الملك فيصل راضيا كل الرضى عن وزارة الاتاسي، ولا سيما وزير الخارجية الدكتور عبد الرحمن شهبندر الذي كان من قبل يكرهه ويظن

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أنه عدو له حتى إنه قال لي يوما : إنني لما عرفت شهبندر احتقرت جميع أهل الشام ، ولكن رضاه في ذلك الوقت، كان سببا لسخط جمهور الشعب .

وقد أفضى ضعف الحكومة ولينها وطمع الطامعين فيها الى ان تجرأ الساخطون عليها من الطامعين في المناصب والمواهب الملكية على الطعن فيها ؛ وتأليف الاحزاب لمقاومتها، وكان بعض العلماء والعامة، يكثرون الطعن في وزير المعارف خاصة، ويزعمون إنه يريد اضعاف الدين في المدارس وتعويد البنات فيها على التهتك، وطالما راجعوني في هذا قبل اعلان الاستقلال و بعده متوسلين بي الى السعي معهم لدى الامير ثم الملك بعزله ، فكنت أنصح لهم بالتأني وأحسب حسابا لتعود الشعب الافتيات على الحكومة ولا سيما الطامعين منه في أعمالها ومناصبها، وأرى أن السعي لتلافي الخلل واقناع الحكومة باصلاح ماينتقد عليها بحق أحسن عاقبة من إطماعهم فيها. وقد ذكرت رأيي هذا لمدير المعارف ثم وزيرها ليكون على بصيرة من أمره . ولم يقف تأثير ضعف الحكومة في الشعب عند هذا الحد بل أفضى أخيراً بالساخطين والطامعين أن تجرءوا على السعي لهدم الاستقلال، والتزلف الى الاجانب فقوي الحزب الوطني المتهم بموالاة فرنسة وهو الذي كان يرأسه عبد الرحمن باشا اليوسف. حتى إنه بلغ الحكومة أنهم عزموا على تأليف وفد فيه سبعة من حملة العمائم، وسكنة الاثواب العباعب، يرسلونه الى باريس لطلب الانتداب الفرنسي على جميع البلاد السورية، ولم تفعل الحكومة شيئاً — وأغرب من هذا ان بعض الموظفين في بلاط الملك سرق دفتر الخزينة الخاصة مرتين ولم يشك أحد علم بذلك في سببه ... ولم يعاقب بل لم يحاكم بل لم يجر في البلاط تحقيق بشأنه

وكان بعض الوزراء كيوسف بك العظمة (رحمه الله) يخص وزير الداخلية بالتقصير في ايقاف الاحزاب المعارضة عند حدها فقلت لهم كلا ان هذا يطلب من الوزارة كلها لا من الداخلية وحدها

أكتفي بهذه الخلاصة من بيان ضعفنا وتعليل عدم نجاحنا ، عسى أن نعتبر به في مستقبل أمرنا ، وأعيد القول بأن حكوماتنا كانت مع هذا خيراً من حكومتي المنطقتين الاخريين من بلادنا أمناً وعدلا ومساواة وتقدما في العلم والاقتصاد وسأتكلم في الفصل الآتي على المؤتمر

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

احوال العالم الاسلامي

لم يبق ريب ما في أن الشعوب الاسلامية قد استيقظت من رقادها السياسي الذي كاد يكون موتا زؤاما ، وذلك بعد أن بلغ الضيم فيها غايته بهذه الحرب الاخيرة، وأحيط بها أوكاد، ولا يزال الطامعون يحاولون الاجهاز عليها، والقضاء على مابقي من ملكها ، لئلا تحيا بهذه اليقظة حياة جديدة تنال بها حريتها، وتحفظ حقيقتها، ولكنهم غير متفقين على قسمة الغنيمة، وشعوبهم تناقشهم الحساب على ماينفقون في سبيل التوسع في الاستعمار، وسياسة الشعوب بقوة الحديد والنار، لان هذه الحرب قد أكلت ثروتها ، وضاعفت الضرائب عليها ، فهذه فرصة يجب على الشعوب الاسلامية اغتنامها بتقوية أنفسها ، وتعاونها فيما بينها وبين سائر الشعوب الشرقية المجاورة لها ، والظاهر أن كلا منها يبذل جهده بقدر مايصل اليه علمه وقدرته

الافغان

وانا نرى الشعب الافغاني خيراً من غيره فهو لا يهاجم الآن ولا يقاوم من الخارج، ولا شقاق يعرقل عمله في الداخل ، وقد سلك طريقة الحياة المثلى اذ جعل همه الاول في تنظيم القوة العسكرية عالما أن خصمه لا يحترم غير القوة، ثم في التعليم وتنمية الثروة لان القوة وسائر شؤون العمران متوقفة عليها ، وهو مع هذا يعتصم بولاء اخوانه من الشعوب القريبة منه كالفرس والترك. ومن توفيق الله تعالى ان كان أميره في هذا الطور من أفضل أمراء الشرق علما وعقلا وأخلاقا وهمة وحزما وعزما ودينا

الفرس

ويسوءنا أن جاره الشعب الايراني لايزال مصابا بالشقاق الداخلي الذي كان سببه الباطن تأثير التعاليم الافرنجية، والدسائس الانكليزية والروسية جميعا، فعسى أن يوفق في هذه الفرصة السانحة الى جمع كلمته ، واتفاق زعمائه على خطة واحدة ينحون فيها نحو جيرانهم الافغانيين . ونذكر الزعماء المختلفين أن دوام الخلاف باصرار كل فريق منهم على تنفيذ رأيه دون غيره أشد خطرا على البلاد من الاتفاق على خطة يرى بعضهم أن فيها شيئا من الخطأ فان الشقاق الداخلي اكبر المهالك. ولا سيما في مثل هذه الايام والاحوال التي هم فيها

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الترك

أما الترك فهم على كونهم قد استفادوا من العبر بهذه الحرب اكثر من غيرهم، وعلى كونهم لا يزالون أعظم استعدادا من غيرهم لحماية حقيقتهم، والدفاع عن بيضتهم، وعلى انتفاعهم بعطف العالم الاسلامي كله — ولا سيما مسلمي الهند — عليهم، وعلى تسخير الله الدولة الروسية عدوتهم التاريخية الكبرى في عهد القياصرة الى مساعدتهم، وعلى استفادتهم من الخلاف السياسي بين فرنسة وانكلترة — هم على هذا كله — لا يزالون على خطر من اصرار الدولة البريطانية على ثل عرشهم (رفعه الله) وتقويض دعائم ملكهم (حماه الله) ولا تزال اليونان محتلة لجزء عظيم من بلادهم. وذلك يوجب عليهم من الحذق والدهاء في السياسة مع الاستعداد الحربي ومن التفاني في الاصرار على الاستقلال المطلق، والحرص على استدامة صداقة الشعوب التي عطفت عليهم والسعي لاكتساب مودة غيرها ما نرجو أن يكون فيهم من الرجال من يقوم به كله

مصر

وأما مصر فقد استفادت من جهادها رفع الانكليز للحماية الباطلة عنها، واعترافهم بالاستقلال والسيادة القومية لها، وتلا ذلك اعتراف الدول بذلك واحدة بعد أخرى، فصارت أقدر على الجهاد في سبيل ازالة الاحتلال الاجنبي عنها وعن سودانها الذي هو مصدر حياتها، اذا هي وحدت أحزابها وعرفت كنه قوتها، وانما هي قوة سلبية اقتصادية، لا حربية ولا عدوانية

العرب

وأما سائر العرب فلا يزالون على ما شكونا منه من تفرقهم الا أن اخواننا العراقيين قد أقروا أعيننا بما علمنا من اتفاق السواد الاعظم منهم على الاستقلال المطلق من قيود الحماية والوصاية والانتداب، وعجز الدسائس الاجنبية عن تفريق كلمتهم وعن خداعهم بجعل السيطرة عليهم مموهة في شكل معاهدة، ولكن ساءنا غفلة الكثيرين منهم عما تبغيه من ايقاع العداوة والبغضاء بينهم وبين جيرانهم النجديين، وما يجب من تحامي ذلك والحذر من إلباسه لباس الدين، ونرجو أن يفطن لذلك سلطان نجد الحكيم، ويعلم أن الاجانب يخوفون العراقيين من عدوانه عليهم ليرضوهم ببقائهم تحت سيطرتهم العسكرية. واننا نعتقد أن دينه وعقله يأبيان عليه أن يجعل نفوذه آلة حربية للاجنبي يخضع بها أخصب بلاد العرب وأوسعها لسلطته

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وهو لا يجهل ان استتباب السلطة الاجنبية في العراق والشام خطر على استقلال نجد وسائر جزيرة العرب ، وقاض على كل سلطة للاسلام فيها، ولا سيما اذا امتدت فيها السكك الحديدية العسكرية ، وقواعد الطيارات الحربية ، التي تؤسسها السلطة البريطانية في العراق وشرق الاردن من سورية، ولكن الحجازيين يجتهدون في بث الدعوة (البوربغندة) لتشويه سمعته ، والطعن فيه وفي أهل بلاده ، ويوهمون الناس انهم وحوش ضارية يستحلون سفك الدماء بغير حق، فيعاقبون بالقتل على أقل ذنب ، أو مالا يعد عند غيرهم بذنب ، وغير ذلك من الزور والبهتان والكذب ، وقد راجت هذه الدسائس حتى في سورية وفلسطين ومصر

والحق انه لا يوجد فيما نعلم من أمر بلاد الاسلام قطر يقام فيه الاسلام مثل نجد، سواء في ذلك الاعمال الشخصية والقضائية أو بث الدعوة ومقاومة البداوة، والزام البدو بالعمران والحضارة ، ومنعهم من الغزو والعدوان بغير حق، لاجل الارتزاق والكسب، وإنما يقاتل النجديين البدو لاجل هذا، ولم يتعدوا على حكومة منظمة لاجل فتح بلادها ، وإنما أزالوا امارة ابن الرشيد لانه لا يجوز أن يكون في قطر واحد حكومتان مختلفتان، وآل سعود هم الامراء الشرعيون لهذه البلاد، وقد اختاروا في ازالتها أخف الضررين وهو الحصار

وأما اليمن فلا يزال العداء والشقاق بين اماميها يحيى والادريسي مستمرا، والقتال آونة بعد أخرى مستمرا ، وقد اتفق الثاني مع صاحب نجد وتحالفا فاشتد ازره ، وكان صاحب الحجاز يطمع في جعلهما تابعين له ولو في السياسة على كونهما أقوى منه وأعز ، ثم حاول الارتباط معهما بمحالفة هجومة دفاعية وانتهى الامر بوفاق اقتصادي وهو لا يبلغه غرضه من تدويخ نجد ، ولا يؤمنه تغلبها على الحجاز ، ولا يرتاح مع ذلك الى الصلح والاتفاق مع صاحبها ،لانه يخاف ان يبث دعوة التدين في سائر بدو الحجاز وحضره آمنا والبلاد مستعدة لذلك ولا سيما الاعراب فيها . ولعله لولا رجاؤه في جمع قوته الى قوة ولديه في العراق وشرق الاردن للاحاطة بنجد وازالة سلطانها لجنح الى السلم ورضي بالاتفاق، وهم يبثون الدعوة في هذه الاقطار الثلاث وما جاورها من سورية ومصر تمهيدا لذلك ، ويعتقد انهم اذا استولوا على نجد يتم له تأسيس الامبراطورية العربية ،في ظل الدولة البريطانية ،تنفيذا لمقررات نهضته الرسمية

فيا دارها بالخيف ان مزارها قريب ولكن دون ذلك أهوال